# التأهيل بالقرآن الكريم والتأهل به

د.عماد علي عبد السميع
دكتوراه في أصول الدين من جامعة الأزهر
رئيس قسم علوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية - تعز

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[1]. (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) [2]. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) [3].

أما بعد:

فإن فضل القرآن، وفضل حملته ومعلميه من الأمور المشهورة المستفيضة في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وتاريخ الإسلام، وتكفي الإشارة هنا عن التفصيل بقوله -صلى الله عليه وسلم- في فضل القرآن:

(.. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[4]. وبقوله في فضل حملته ومعلميه: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[5].

ولا شك أن الهدف من الترغيب في الإقبال على القرآن وتمسيك الناس به ليس مقصوداً لذات الحفظ في الصدور والتباهي بجمعه، فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من المقبلين على القرآن، بقوله: (مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر)[6]. وذكر أقواماً يحفظونه وحظهم من حفظهم الفخر (أن يقولوا من أحفظ منا، من أفقه منا، قال: وأولئك هم وقود النار)[7].وإنما المقصود أن يصبح القرآن منهج الحياة ونظامها، وأن يقدم أهله وحملته في كافة الميادين، ولقد كان هذا الأمر – أعني تقديم أهل القرآن – واحداً من أهم أسباب حفظ القرآن وصيانته في الصدر الأول لهذه الأمة[8].

---

1- آل عمران 102

2- النساء 1

3- الأحزاب 70 – 71 .

4- رواه الترمذي في السنن برقم (394) ك فضائل القرآن، وقال: حسن غريب.

5- البخاري في الصحيح برقم (5027) ك فضائل القرآن.، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

6- مسلم في صحيحه: ك صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، (وهو جزء من الحديث).

7- أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم 330/1 طبعة دار النهضة العربية-بيروت 996.رواه ابن ابي حاتم في تفسيره(9/2)

8- انظر: د/ محمد إبراهيم الشافعي: بصائر الجنان في علوم القرآن ص 269 مطبعة وهبة حسان-القاهرة.

فلقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما جعل الرجل أميراً لكثرة حفظه للقرآن، ونص على تقديم الأكثر حفظاً للإمامة في الصلاة، وفي اللحد في القبر، وربما زوجه بما يحفظ.. وهكذا[3]، فتنافس الصحابة –رضوان الله عليهم- في حفظ القرآن وجمعه والعمل به، وذلك لما رأوا أهله يقدمون، ومن ذا الذي يحب أن يتأخر ولا يتقدم والله – عز وجل – يقول: (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)[4].

وتقديم أهل القرآن في كافة المجالات له آثاره الإيجابية البناءة، فعندما يتقدم للإمامة العظمى حافظ القرآن، وعندما يتولى القضاء حافظ القرآن، وعندما يؤم الناس أقرؤهم للقرآن وعندما يقود الجيوش أحفظهم، وعندما يرضى الناس بالقرآن مهراً من الحفاظ لبناتهم، وعندما يقدرون أوقاتهم بمقدار الآيات من القرآن، وعندما يحصنون بيوتهم بالقرآن، وعندما يداوون مرضاهم بالقرآن..عندما يحدث كل هذا:

يعم العدل، وتصان الحقوق، وتحفظ الحرمات، وتنتصر الجيوش أينما وجهت، وتحل المشكلات جميعاً بفضل الله ومنّه.

وأحسب أن هذا لم يكن مجرد كلام إنشائي نسجه خيال يسرح في عالم المثالية، وإنما كان واقعاً سعيداً تفيأ الناس في ظلاله روح الحياة السعيدة، في ظل الحاكم الفقيه الذي لا يستغل منصبه في قضاء مآربه الشخصية، وفي ظل القاضي الذي كان يقضي بالعدل ولو كان أحد أطراف الخصومة أمير المؤمنين والطرف الآخر غير مسلم، وربما كان الحكم على أمير المؤمنين.

وفي ظل الزوج الذي يحفظ (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)[9] (فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا)[10] (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً. وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً)[11] (..فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً)[12]. والهدف من هذه الدراسة، هو محاولة العودة إلى الأصل، إلى جعل القرآن الميزان الأوحد للقسط، يوزن به الجميع – ومعه سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى المسارعة إلى جعل القرآن الكريم منهج حياة تطبيقاً عملياً لا قولاً نظرياً.

وقد حدثني أحد أهل العلم الكرام عن تجربة في باكستان قام بها الرئيس السابق (محمد ضياء الحق) – رحمه الله، حيث جعل يكرم حملة القرآن ويرفع شأنهم إلى درجات تصل إلى درجات الوزراء والكبراء، فتنافس الشباب على حفظ القرآن الكريم، وكان هذا سبباً في نهضة البلاد والحمد لله.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة.

- المقدمـــة: فيها فكرة عن موضوع الدراسة وهدفه وغايته.
- المبحث الأول: في فضائل القرآن الكريم.
- المبحث الثاني:مكانة حملة القرآن ومعلميه وحقه عليهم.
- المبحث الثالث: التأهيل للإمامة والقيادة

---

[9]- البقرة 228

10- البقرة 231

11- النساء 20

12- النساء 34

- المبحث الرابع: التأهيل للإمامة في الصلاة.
- المبحث الخامس:التأهيل بالقرآن للقيادة العسكرية.
- المبحث السادس: أثر حفظ القرآن الكريم في الإعفاف والتحصين .
- المبحث السابع: أثر القرآن الكريم في الإصلاح والتزكية.
- المبحث الثامن: التأهيل للغنى والسعادة في الدارين.
- اولاً :التأهيل لاستحقاق السعادة في الدنيا.
- ثانياً : التأهيل لاستحقاق السعادة في الآخرة.
- والخـــاتمة: بها أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا أهلاً لحمل كتابه وأن يرزقنا حفظه والعمل به، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا ممن يرفعهم بالقرآن لا ممن يضعهم، وأن يجعله شفيعاً لنا يوم القيامة مع الشفيع الأعظم والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول

## في فضائل القرآن الكريم

لقد خص الله –عز وجل- القرآن الكريم بكثير من الفضائل والميزات والخصائص، التي لم تتوفر مجتمعة لكتاب قبله ولا بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد جاءت هذه الفضائل بعضها في كتاب الله وبعضها في سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهذا يدل على أن مصدر تفضيل القرآن هو الله عز وجل ومن ثم عُنى بجمعها كثير من العلماء، فلا يكاد يخلو مصنف في السنة النبوية –على صاحبها الصلاة والسلام- من كتاب أو باب في فضائل القرآن، كما أفرد بعض أهل العلم مصنفات في الكلام على فضائل القرآن، كان من أشهرها وأنفعها كتاب: (فضائل القرآن) لأبي عبيد القاسم بن سلام[13].

وفي هذا المبحث أحاول جمع بعض الدرر من فضائل القرآن، على سبيل المثال لا الحصر، فأقول وبالله التوفيق:

### أولاً: من فضائل القرآن في القرآن:

فضائل القرآن في القرآن الكريم كثيرة جداً، وجاءت هذه الفضائل على النحو الآتي:

**1) القرآن الكريم خير حديث:**

وفي هذا يقول الله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء..)[14].(أي: الله انزل احسن الحديث

[13]- أبو عبيد القاسم بن سلام هو: البغدادي صاحب التصانيف المشهورة كان فاضلاً في دينه مفتياً في أصناف من علوم الإسلام من القرآن والفقه والأخبار والعربية حسن الرواية صحيح النقل.. توفي سنة 224هـ. انظر: الامام الذهبي : تذهيب تهذيب الكمال7/361- 366 ط مكتبة الفاروق الحديثة-القاهرة 1425هـ - 2004م.

[14]- الزمر 23.

قرآناً كريماً يشبه بعضه بعضاً في الصدق والبيان والوعظ والحكمة ، .. إذا تليت منه آيات العذاب افشعرت الجلود ، ووجلت القلوب ، واذا تليت آيات الرحمة لانت الجلود ، وسكنت القلوب واطمأنت النفوس([3])).

ويقول –صلى الله عليه وسلم- كما عند الترمذي بسنده عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه- : (يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على أدناكم)[15]. فينغي على كل مسلم أن يشغل نفسه بخير الحديث، القرآن الكريم ، قراءة ، وسماعاً ، وتدبراً لمعانيه ، بدلاً من تضييع الأوقات في الكلام الذي يجر القيامة ويتوجون المهالك .

**2) القرآن الكريم سلطان مهيمن على سائر الكتب:**

يقول جل ذكره: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...)[16].

فالقرآن مهيمن على سائر الكتب: فهو الكتاب الخاتم تنسخ أحكامه أحكام الكتب السابقة ولا ينسخه كتاب[17]، لأنه الكتاب السماوي الخالد على مر الدهور.

" أخرج أبو الشيخ عن عطية في قوله تعالى: (ومهيمناً عليه) قال: أميناً على التوراة والإنجيل، يحكم عليهما ولا يحكمان عليه.. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال في: (ومهيمناً عليه) شهيداً على كل كتاب قبله.. وعنه –أيضاً- قال: المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله"[18]. ومن هنا فالأمة الإسلامية التي تنتسب إلى هذا الكتاب السلطان المهيمن – يجب أن تزداد تمسكاً بتعاليمه ، وعملاً بهديه، بدلا من أن تنعق وراء كل ناعق يلوح لها بتشريع مبتدع ، يريد أن يضلها عن ما بين أيديها من الحق .

**3) القرآن الكريم كتاب مكرم معظم ممجد مصون:**

وهذه فضيلة جمعت فضائل: التكريم والتعظيم والتمجيد والحفظ والصيانة ، ويتضح هذا في قوله تعالى: ( إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون)[19] : "أي بالغ غاية الشرف وجامع كل صفات المجد والكمال البياني، ومبرأ من كل النقائص إذ فيه بيان الحق والخير، ومكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، وهو يهدي للتي هي أقوم، والمكنون: المستور المخفي المبعد عن الوصول إليه، والكَنّ هو: المكان المحفوظ المحجوب ببناء أو غيره، ولهذا وصف الله –عز وجل- اللوح المحفوظ بأنه مكنون، وبأنه لا يمسه إلا المطهرون)[20].

➢وفي قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[21]. فهذا تكفل من الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من أن تناله يد التحريف والتبديل، وهذه فضيلة أظهر من أن تشرح، ومن طريف ما يذكر أن واحداً من أعداء الإسلام دار حوار بينه وبين أحد علماء المسلمين فادعى أن القرآن قد دخله التحريف وانه لا يصدق أن يكون محفوظاً إلى الآن برغم تطاول السنين.

---

(3) احمد مصطفى المراغي : تفسير 197/8، 198 ط – دار الفكر – بيروت – الاولى 1421هـ

15- رواه الترمذي في السنن برقم (394) ك فضائل القرآن، وقال حسن غريب.

16- سورة المائدة 48.

17- أعني بعدما تم جمعه وبعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا أعني إنكار النسخ.

18- السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 95/3 ط دار الفكر-بيروت1414هـ.

19- سورة الواقعة 77-79.

20- عبد الرحمن حبنكة الميداني معارج التفكر ودقائق التدبر 507/8 ط دار القلم – الدار الشامية 2002م –بتصرف يسير.

21- سورة الحجر 9.

فقال له الشيخ: احضر إلى المسجد وكن بمكان قريب من المصلين وسوف ترى وتسمع، وجاء هذا الرجل والإمام يقرأ في صلاة جهرية فأخطأ الإمام في حرف فصحح له المأمومون من هنا ومن هنا، فلما فرغ قال له أرأيت كيف يحفظه هذا الجمع ولا يقرّون أقل خطأ فيه ولو حرفاً واحداً !!

➢وقال تعالى: (ق والقرآن المجيد)[22] وقال أيضا:( بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ)[23] قال الميداني: "أي الشريف الكريم الرفيع المقام، العلي المنزلة بسبب ما فيه من كمالات جليلات عظيمات تدل على أنه كلام الله –عز وجل- وليس كلام بشر مهما ارتفعت منزلة البشر، وكلمة (مجيد) على صيغة فعيل التي تدل على المبالغة والكثرة لصيغة اسم الفاعل، وهي بالنسبة لله – عز وجل- وصفاته تدل على غاية كمال الصفة، وهي محولة عن اسم الفاعل (ماجد) وكلاهما (الماجد والمجيد) من أسماء الله الحسنى، وهذا الوصف لم يرد في القرآن إلا وصفاً لله مرتين، وللقرآن مرتين، وللعرش مرة واحدة في قراءة (ذو العرش المجيدِ) بكسر الدال، والمجد في اللسان العربي هو الكرم والشرف والعلو والرفعة المعنوية العالية السامية، تقول: مجد مجادة فهو مجيد، وأمجده ومجده، أي عظمه وكرمه وأثنى عليه بالمجد... والقسم بالقرآن المجيد قسم بآية من آيات الله الباهرات، ويتوقف إدراك هذه الآية على التفكر والتدبر للوصول إلى معرفة عناصر إعجازه وأنه لا يمكن أن يكون صادراً عن فرد أو جماعة من الناس...)[24].

➢وقال تعالى: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)[25]. فهذا ثناء صريح من الله –عز وجل- على القرآن بأنه عظيم.

➢وقال تعالى: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[26].

- ومن هنا يجب علينا كمسلمين – نؤمن بان القرآن مكرم ومعظم ومحفوظ ومصون – أن تزداد ثقتنا به ، وتعظيمنا وتمجيدنا له .

4) عالمية القرآن الكريم:

عالمية القرآن الكريم إنما جاءت من عالمية الرسالة التي حواها ، موجهة للعالمين وفي هذا يقول الله تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)[27] (وما هو إلا ذكر للعالمين)[28] (إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين)[29].

وقال تعالى أيضاً: (ص والقرآن ذي الذكر)[30].

✓قال ابن كثير –رحمه الله- :

"قوله تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي أن هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون ويتعظون"[31].

✓ونقل عن ابن عباس –رضي الله عنهما- :

---

[22]- سورة ق 1.

[23]- سورة البروج 21-22.

[24] - معارج التفكر 3/17-18 انظر القاسمي : محاسن التأويل 8/456 ط دار الحديث – القاهرة 1424هـ

[25] - سورة الحجر 87.

[26] - سورة فصلت 41-42.

[27] - سورة التكوير 27-28.

28 - سورة القلم 52.

29 - سورة ص 87-88.

[30] - سورة ص 1.

[31] - تفسير القرآن العظيم 4/481.

"أنه قال في هذه الآية: (يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن.. كقوله تعالى: (لأنذركم به ومن بلغ)[32].

✓وقال السعدي –رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:

(ص والقرآن ذي الذكر) وفي تفسير(إن هو إلا ذكر للعالمين): فهذه السورة العظيمة –أي سورة ص- مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم وإقامة الحجج والبراهين على من كذب بالقرآن وعارضه.. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين)[33].

✓وأما الميداني –رحمه الله- فقد أبدع في تدبره لصدر سورة ص، فقال: أقسم الله في هذه العبارة بالقرآن الذي وصفه جل جلاله بأنه ذو الذكر، أي: المتصف بأنه يستحق أن يكون ذكراً للعالمين، وهذا الاستحقاق ملازم له ملازمة الصاحب الذي لا يفارق صاحبه.. فدل هذا الوصف للقرآن المجيد على أن من خصائصه أنه كتاب يصلح بعد تلقيه واستجماع آياته لأن يذكر دواماً في الألسنة والقلوب والأذهان في كل زمان ومكان، ولا يقتصر الإعجاب به، والانجذاب إليه، والانتفاع بمضامينه على أزمان تلقيه، بل يظل كذلك دواماً، لأنه لا يبلى على كثرة ترداد ذكره ولا يخلق، بسبب حلاوة لفظه، وكمال معانيه، وعمق دلالته التي تتجدد كلما تعمق المتفكرون المتدبرون المستنبطون بحثاً عنها، وبسبب كونه ميسراً للذكر، وحقاً وصدقاً وهادياً للتي هي أقوم، وهذه أمور لا تبلى ولا تخلق مهما مرت الدهور وكرت العصور،.. بخلاف النصوص التي تشتمل على الحق والصدق والعمق والهداية للتي هي أقوم أو اختلط فيها الحق بالباطل والسمين بالغث أو كانت معقدة غير ميسرة، أو كانت سطحية لا عمق فيها، فإنها مهما كانت ذات صياغة حسنة بليغة، لا تعدو أن تكون نصوصاً زمنية تذكر في حين الانبهار بها، ثم يخبو وهجها، ثم تنطفئ، ثم تمحوها الأيام والشهور والدهور فلا تكون ذكراً في الألسنة والأذهان والقلوب، فلا تصلح لأن تكون ذكراً دواماً... لكن القرآن صالح لأن يكون كله ذكراً دواماً.. إن هذه الخصوصية لا نجدها في غير القرآن المجيد من كلام الناس، وكذلك أيضاً استحق أن يكون ذا الذكر: أي ذا الشرف العظيم([34]).

ومن هذا أو غيره من كلام المفسرين حول هذه الآية ينبغي أن يعرف المسلم معنى عالمية كتابه ، ومن ثم عالمية دعوته ، وعالمية رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفيه أيضا الرد القوي على الذين يدعون عالمية دعوتهم وكتابهم من اليهود والنصارى ، ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها من أجل تحقيق العالمية لدعوتهم وكتابهم ؟ ولا تترك أصحاب الكتب والدعوات المحلية من المنصرين – الذين يسمون أنفسهم مبشرين- يدعون عالمية دعوتهم وكتابهم، ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها من اجل تحقيق العالمية لدعوتهم وكتابهم، فأنت –أخي المسلم- أحق وأجدر بهذا، واسأل نفسك: ماذا فعلت لتحقق عالمية الدعوة وعالمية الكتاب؟

5) القرآن الكريم محكم التفصيل تام البيان :

وما أكثر الشواهد القرآنية التي تبين هذه الفضيلة من فضائل القرآن العظيم، فمن ذلك، يقول تعالى: (أ لر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)[35] (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)[36] (تلك آيات الكتاب المبين)[37] (حم . والكتاب المبين)[38].....

---

[32] - السابق 45/4 والآية من سورة الأنعام 19.

[33] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 660 ط دار صادر –بيروت.

34 - معارج التفكر 482/3-484 باختصار، انظر ايضاً : الإمام البغوي : معالم التنزيل في التفسير والتأويل 348/4ط دار الفكر – بيروت – الاولى 1422هـ.

[35] - سورة هود 1.

[36] - سورة فصلت 3.

فهذا الكتاب محكم لا خلل فيه ولا تناقض ولا اضطراب، بل يصدق بعضه بعضاً، ثم هو مفصل لأنه اشتمل على دقائق المنهج القويم بالتفصيل، وكذلك هو واضح بين يسر الله لفظه ومعناه ليتذكر المتذكرون كما قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[37].

قال ابن كثير –رحمه الله-: (بُينت معانيه، وأحكمت آياته.. تبييناً واضحاً، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة.. ويعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون)[38].

وقال سيد قطب –رحمه الله- (والتفصيل المحكم وفق الأغراض والأهداف، ووفق أنواع الطبائع والعقول، ووفق البيئات والعصور، ووفق الحالات النفسية وحاجاتها المتنوعة.. التفصيل المحكم الدقيق وفق هذه الاعتبارات سمة واضحة في هذا الكتاب، وقام هذا القرآن يؤدي وظيفته (بشيراً ونذيراً)[39].

وتظهر هذه الفضيلة في جلاء ووضوح من عقد مقارنة بسيطة بين القرآن الكريم وغيره من الكتب التي يدعي أصحابها أنها مقدسة، وسوف يتضح الفارق عندما يرى ما بها من طلاسم يشقى بها العقل ويحار في فهم معناها، ومتناقضات تصدم الرأس والعقل صدماً، ومثال ذلك قوله تعالى (فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) ، الفارق هنا واضح جداً فإن يفهم العقل أن الإله واحد ، فهذا شيء يسير ، وأما أن يفهم أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة فهذا أمر مستحيل ، يجعل العقل يئن من حيرته في تفسير هذه المسالة ولن يستطيع ذلك.

### 6) القرآن الكريم شفاء لأمراض القلوب والأبدان:

لقد تحدث الله –تعالى- عن إثبات هذه الفضيلة لكتابه الكريم في ثلاثة مواضع صريحة من القرآن الكريم، قال تعالى:(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)[40] (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)[41] (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ءآعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد)[42].

قال الميداني –رحمه الله-:

(شفاءك الشفاء البرء من المرض، وقد أطلق المرض في القرآن على المرض الجسدي وعلى المرض النفسي، وأخبثه مرض القلوب بالكفر أو بالنفاق، ودونه مرض حب المعاصي والشهوات المحرمة، فمن حسن التدبر حمل الشفاء على المعنيين: الشفاء من المرض الجسدي والشفاء من المرض النفسي، وأطلق على القرآن أنه شفاء على أنه سبب شفاء، فهو من المجاز المرسل، وأعظم الشفاء ما كان شفاءً للقلوب والنفوس، وهو الغرض الأعظم من تنزيل القرآن المجيد هدى للناس، وثبت في الصحيح وفي التجربات الكثيرة التي لا ينكرها إلا

---

[37] - سورة القصص 2.

[38] - سورة الدخان 1-2.

[39] -سورة القمر 17، لا يخالف ما بقوله هنا من أن القرآن محكم مفصل ما يقوله علماء علوم القرآن بأن فيه متشابه ومجمل، فحتى المجمل والمتشابه يزول إجماله ومتشابهه ويتضح بتأويل العلماء وتفسيرهم.

[40] - تفسير القرآن العظيم 91/4.

[41] - في ظلال القرآن 3108/5.

[42] - سورة يونس 57.

[43] - سورة الإسراء 82.

[44] - سورة فصلت 44.

جاحد تأثير تلاوة القرآن في الشفاء من الأمراض عامة، ومن الأمراض التي تأتي باستخدام السحر ومن الأمراض التي تكون بتأثير الإصابة بعين حاسد)[45].

ويؤكد هذا ما ثبت من إقراره صلى الله عليه وسلم لأصحابه على الاستشفاء والتداوي بالقرآن أكثر من واقعة ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال: (انطلق نفر من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ –الحمد لله رب العالمين- فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة[46]، قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي –صلى الله عليه وسلم- فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً، فضحك رسول الله –صلى الله عليه وسلم-)[47].

(وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري –أيضاً- قال جاء رجل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- فقال: إني أشتكي صدري، فقال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى: (شفاء لما في الصدور) وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن واثلة بن الأسقع –رضي الله عنه- أن رجلاً شكا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- وجع حلقه، فقال: عليك بقراءة القرآن، وأخرج البيهقي عن طلحة بن مصرف قال: كان يقال: إن المريض إذا قريء عنده القرآن وجد له خفة، فدخلت على خيثمة وهو مريض فقلت إني أراك اليوم صالحاً، قال: إنه قرئ عندي القرآن)[48].

فإذا ثبت هكذا أن القرآن الكريم شفاء، فاستشف به، واطلب فيه الشفاء للأمراض الجسدية والنفسية، فهو كما قال الله تعالى: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء([2]) فاللهم اشفنا بالقرآن، وداو به جميع أمراضنا وأسقامنا. آمين.

### 7) القرآن الكريم هداية ورحمة:

ومن ففضائل القرآن الكريم أنه هداية ورحمة ، وذلك لأنه اشتمل على كل أسباب الهداية والرحمة ، ففيه فصل الحلال والحرام ، ووضح الطريق السليم لمن أراد أن يسلكه والآيات القرآنية في تقرير هذه الفضيلة من فضائل القرآن كثيرة جداً نذكر منها مثالاً قوله تعالى:

(ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)[49] وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[50] (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى

---

[45] - معارج التفكر 713/9، وانظر : وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة 200/11، 201 ط دار الفكر – بيروت 1418 هـ .

[46] - وما به قلبة: أي علة.

[47] -محمد فؤاد عبد الباقي : اللؤللؤ والمرجان: ك السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، برقم (1420) ط دار الحديث القاهرة – الاولى 1424هـ .

[48] - الدر المنثور 366/4.

[2]– سورة فصلت 44 .

[49] - سورة الأعراف 52.

ورحمة لقوم يؤمنون)[50] (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة)[51] (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون . وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين)[52] (... وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)[53].

فهذه الآيات المباركات واضحات في تقرير أن القرآن هداية ورحمة، وغيرها من الآي كثير، إذ الأصل في القرآن أنه نزل لهداية البشر ولتقريبهم من رحمة الله.

وقد أورد السيوطي –رحمه الله- في الدر المنثور عند تفسير قوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) نحو أربع عشرة رواية ما بين حديث وأثر، وكلها تدور حول بيان أن فضل الله هو الإسلام ورحمته القرآن أو العكس[54].

وعليه يمكن القول بأن: من طلب الهدى من القرآن هُدي، ومن طلبه من غيره ضل، فلنقرأ القرآن ولنهتد بهديه عسى أن تنالنا به رحمة من الله سبحانه وتعالى.

**8) القرآن الكريم روح الحياة:**

أن الفرآن بمثابة الروح للدين يحيا به الدين من النفوس ، كما تحيا الأبدان بالأرواح ، قال الله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[55] (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)[56].

فالقرآن روح: يبث الحياة ويدفعها ويحركها وينميها في القلوب وفي الواقع العملي المشهود)[57]. (كما أن الحقيقة التي تعبر عنها هذه الآيات حقيقة روحية، حقيقة تذاق بالتجربة، ولا تملك العبارة إلا أن تستحضر مذاق التجربة، ولكن لمن ذاقها فعلاً، إن هذه العقيدة تنشئ في القلب حياة بعد الموت، وتطلق فيه نوراً بعد الظلمات، حياة يعيد بها تذوق كل شيء، وتصور كل شيء، وتقدير كل شيء بحس آخر، لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة، ونوراً يبدو كل شيء تحت أشعته وفي مجاله جديداً ... إن الكفر انقطاع عن الحياة الحقيقية.. فهو موت.. والإيمان اتصال واستمداد فهو حياة.. كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين، قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف.. كانت قلوبهم مواتاً، وكانت أرواحهم ظلاماً... ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء ويفيض منها النور فتمشي في الناس تهدي الضال، وتلتقط الشارد، وتُطمئن الخائف، وتحرر المستعبد، وتكشف معالم الطريق للبشر، وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد..[58].

وأحسب أن المسلم يكفيه أن يتلو الآيتين السابقتين بدون تعليق ليعرف هذه الفضيلة للقرآن الكريم، فيعض عليها بالنواجذ، ويسعى في تجديد الحياة في قلبه بالقرآن يتلوه وبطبقة ويجعله منهج حياته.

---

[50] - سورة النحل 89.
[51] - سورة النحل 64.
[52] - سورة الأنعام 157.
[53] - سورة النمل 76-77.
[54] - سورة يونس 57-58.
[55] - انظر السيوطي للدر المنثور 4/367-368.
[56] - سورة الشورى 52.
[57] - سورة الأنعام 122.
[58] - سيد قطب : في ظلال القرآن 5/3171 بتصرف يسير.
[59] - سيد قطب :في ظلال القرآن 3/1200-1201.

وإذا كان بعض أصحاب الكتب التي ثبت بالقطع تحريفها وعجزها عن تنظيم الحياة ومواكبة أطوارها، لا يفتئون يدعون أن كتابهم هو كتاب الحياة أفلا يجب على المسلم أن يدعو للتمسك بالقرآن على أنه كتاب الحياة الحقيقي المصون عن التبديل والتحريف، القادر على بعث الروح من جديد في اليائسين والبائسين والحائرين والتائهين وإخراجهم من حيرتهم وضلالهم ؟

**9) القرآن الكريم سر البركة في حياتنا:**

ومن فضائل القران الكريم – أيضا- انه كتاب مبارك ومعنى البركة : النماء والزيادة والقرآن يكثر خيره دائماً وتزداد معانيه ، كلما بحثت فيه استخرجت علوماً وفنوناً ، وتعرفت على معالم الطريق القويم .

قال ربنا – جل وعلا- : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)[60]، (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)[61]، (كتاب أنزلناه عليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)[62].

قال القرطبي –رحمه الله-: (مبارك: أي كثير الخيرات)[63] (والبركة الزيادة)[64].

وقال السعدي –رحمه الله-: (مبارك: فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة)[65].

وقال ابن كثير –رحمه الله-: (ومن بركته أنه صالح لإنذار العالم كله: مكة ومن حولها من أحياء العرب، وسائر طوائف بني آدم من عرب وعجم)[66].

وفي السياق نفسه قال سيد قطب -رحمه الله-: (هو كتاب مبارك.. وصدق الله.. فإنه والله لمبارك.. مبارك بكل معاني الكلمة.. إنه مبارك في أصله، باركه الله وهو ينزله من عنده، ومبارك في محله الذي علم الله أنه له أهل.. قلب محمد الطاهر الكريم الكبير.. ومبارك في حجمه ومحتواه، فإن هو إلا صفحات قلائل بالنسبة لضخام الكتب التي يكتبها البشر، ولكنه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما لا تحويه عشرات من هذه الكتب الضخام في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه، وإن الذي مارس فن القول عند نفسه وعند غيره من بني البشر، وعالج قضية التعبير بالألفاظ عن المدلولات ليدرك أكثر مما يدرك الذين لا يزاولون فن القول، ولا يعالجون قضايا التعبير، أن هذا النسق القرآني مبارك من هذه الناحية، وأن هنالك استحالة في أن يعبر البشر في هذا الحيز –ولا في أضعاف أضعافه- عن كل ما يحمله التعبير القرآني من مدلولات ومفهومات وموحيات ومؤثرات، وأن الآية الواحدة تؤدي من المعاني وتقرر من الحقائق ما يجعل الاستشهاد بها على فنون شتى من أوجه التقرير والتوجيه شيئاً متفرداً لا نظير له في كلام البشر.. وإنه لمبارك في أثره، وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشرية.. فيفعل فيها ما لا يفعله قول قائل، ذلك أن به من الله سلطاناً، وليس في قول القائلين من سلطان)[67].

---

[60] - سورة الأنعام 155.

[61] - سورة الأنعام 92.

[62] - سورة ص 29.

[63] - محمد بن احمد الانصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن 143/4ط دار الفكر – بيروت 1422هز

[64] - السابق 38/4.

[65] -السعدي تيسير الكريم الرحمن ص 234.

[66] - تفسير القرآن العظيم 149/2 بتصرف يسير.

[67] - في ظلال القرآن 1147/2.

ثم كيف لا يكون القرآن بركة: وكاتبه يؤجر، وقارؤه يؤجر، وسامعه يؤجر، ومعلمه يؤجر ومتعلمه يؤجر، وحامله يؤجر، والذي يعمل به يؤجر، والذي يعظمه يؤجر، .. وهكذا هو منبع كل خير وأجر.

ولقد فهم سلفنا الصالح بركة القرآن وكثرة ما فيه من الخير فهماً عظيماً، فكانوا يرون أثر تلك البركة في كل شيء في حياتهم، حتى إنهم يرون البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتسع على أهله لبركة القرآن.

أخرج الدارمي بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أنه كان يقول: (إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره: أن يُقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين ويقل خيره: أن لا يُقرأ فيه القرآن)[68].

أفلا يغرينا هذا كله بأن نتبارك بالقرآن الكريم، ليس تبارك من يتخذ المصاحف في بيته وسيارته ومحله كالزينات والتحف، وهو له من الهاجرين، يضعه في تلك الأماكن يرجو بركته، وهو غافل عن أن هجرانه يجر غضب الله تعالى، فمن أين تأتي البركة، وإنما التبارك الحقيقي بالقرآن بتلاوته والعمل به، والتذكير به على الدوام، ولا يمنع أن يتبارك المسلم بحمل المصحف نفسه شريطة أن يصاحب الحمل العمل به. والله المستعان.

10) **القرآن الكريم كتاب مُيَسّر:**

ما ايسر القرآن الكريم !! يقرأه الصغير والكبير ، والعربي والعجمي ، سهل في لفظه للنطق ، وفي معناه للفهم ، وفي ترابطه للحفظ وهذه لعمري فضيلة له ، لم تتوفر لغيره من الكتب ، قال الله –عز وجل-: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)([2]). وتكررت هذه الآية في سورة القمر أربع مرات لتقرر وتلفت بلطف الأنظار إلى هذه الفضيلة.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن حبنكة –رحمه الله- في تدبره لهذه الآية: (التيسير: التسهيل والتخفيف، للذكر: أي للحفظ والتذكر عند كل مناسبة داعية لتذكر ما يلائم المناسبة من آيات القرآن، وقد جعل الله –عز وجل- هذه الآية فاصلاً يتكرر بفنية بيانية أدبية، دالاً بهذا الصنيع على أن توزيع لقطات مختلفات من قصص المهلكين الأولين على نجوم التنزيل، وبمناسبات مختلفات، له حكم متعددة منها تيسير القرآن للحفظ والذكر، بالنسبة إلى من يهمهم أن يحفظوه ويرتلوه ويتذكروه، ولا يخفى ما في هذا من دعوة لحفظ القرآن وتدبره، والاتعاظ بمواعظه، والاعتبار بعبره، وتفهم دلالته، والعمل بوصاياه، بأداء ما أوجب الله على عباده، واجتناب ما نهاهم عن فعله، أو عن الاقتراب منه، ومن تيسير الله –عز وجل- القرآن للذكر: سلاسة آياته، وحسن انتقاء كلماته، وإتقان تراكيبه، وما فيها من صور بيانية رائعة، تثبت في الذاكرة لحسنها وإبداعها، وما فيها من كنايات بعيدات عن التعبير المباشر، وما فيه من مطويات مختلفات العمق، التي يحتاج استخراجها إلى مقادير من ذكاء المتلقين، فمنها ما يستخرج بالذكاء القليل، ومنها عميق يتطلب ذكاء من مستوى ذكاء العباقرة، وما فيه أيضاً من إعجاز بلاغي فريد مُعجب، تعشقه النفوس، وتلتقطه بلهفة وتحفظه، وكل ذي حس أدبي يدرك أن النصوص الأدبية الرفيعة المثيرة للإعجاب تتعلق بها النفوس والقلوب فتحفظها وترددها وتتذكرها حيناً فحيناً)[69].

وقال السعدي –رحمه الله-: (ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيراً، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير وسهله عليه)[70].

---

[68] - الدرامي: السنن: برقم(3352)ك فضائل القرآن.وقال المحقق:(إسناده صحيح وهو موقوف على أبي هريرة)

[2]– سورة القمر 17، 22، 32، 40

[69] - الميداني : معارج التفكر 3/372-373.

[70] -السعدي: تيسير الكريم الرحمن ص 790.

وكما يقول الزمخشري –رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه.. ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظراً ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن)[71].

وحول الآية نفسها يقول: ابن جُزي –رحمه الله-: (أي يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الصغار وغيرهم حفظاً بالغاً، بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن)[72].

وقال الخازن –رحمه الله-: (فيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي)[73].

وعلى من أدرك هذه الفضيلة أن يستمسك بالقرآن الميسر للذكر والتلاوة، فلا حجة لك في هجرانه، مهما تزاحمت عليك الأشغال والأعمال، فلتقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ولتفكر في معانيه ولتدبر بقدر ما تستطيع ، فهو ميسر كما قال تعالى.

ولقد رأيت هذه الفضيلة واقعياً، فلقد ذهبت إلى دولة جزر المالديف، وهم أعاجم في جنوب شرق آسيا، ومع ذلك فيهم من يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ولا يجيد أن يتكلم بكلمة واحدة من العربية في غير القرآن، وكان قد وكل إليّ الإمامة في أحد مساجد العاصمة في شهر رمضان، وكان معي إمام المسجد عندهم اسمه (عبدا لله مسعود) كنت إذا سألته عن اسمه قال: (أبد الله مسؤد) وإذا قرأ القرآن خرجت الحروف من مخارجها بكل وضوح، فقلت سبحان الله، وكنا إذا دخلنا المسجد: الجميع يقرؤون القرآن في المصاحف بين الأذان والإقامة، فلأول وهلة تشعر من المنظر أن القوم جميعاً عرب، وبعد الصلاة تفاجأ بالعجمة التي تحول بينك وبين أن تفهمهم. سبحان الله!! (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[74].

هذه بعض فضائل القرآن الكريم التي وردت في القرآن نفسه، تخيرتها لتكون دعوة إلى الإقبال على القرآن الكريم، فأقبل عليه تكن من أهله، وتؤهّل بمؤهِل لا تثبت أمامه مؤهلات.

### ثانياً: من فضائل القرآن في السنة النبوية:

معلوم أن السنن النبوية التي جاءت موافقة للقرآن الكريم ، لتفسير مبهمه ، وتفصيل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصيص عامه ، وتشريع أحكامه وأهدافه ، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، فكانت في الواقع تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم[(2)]ولقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم- أعظم مخلوق عرف للقرآن قدره وفضله، كيف لا وهو الذي كان يتلقاه من أمين الوحي جبريل –عليه السلام- عن رب العزة –جل وعلا- مباشرة.

لذلك لم يأل جهداً في بيان فضله، وإبراز قدره، والدعوة إليه، فتارة يبين أنه يحب أن يسمعه، ويطرب لسماعه ويتأثر به ويبكي.

وتارة يثني على قارئيه وسامعيه بالخير والثناء الجميل.

وتارة يبين بعض ما لهم من الفضل والأجر والثواب.

وتارة يبين أنه من أجلّ نعم الله على العباد.

---

[71] - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التأويل 38/4 ط دار الفكر –بيروت.

[72] - ي:كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 81/2 ط دار الفكر –بيروت.وبهامشه معالم التنزيل للبغوي .

[73] -علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن : لباب لتأويل في معاني التنزيل 275/4 ط دار الفكر –بيروت 1979.

[74] - سورة القمر 17.

[(2)]– محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص 23 ط دار الفكر – بيروت 1421هـ .

وتارة يكرم حملته ويقدمهم ويظهر فضلهم على من دونهم... وغير ذلك من أساليبه الحكيمة –صلى الله عليه وسلم- في بيان فضل القرآن.

ونحن هنا نذكر طرفاً يسيراً من فضائل القرآن في السنة النبوية، من ذلك:

1-روى أبو عبيد القاسم بسنده عن عقبة بن عامر الجهني – رضي الله عنه قال: (خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ونحن في الصفة[75]، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق[76] فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ قلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك. قال: فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، ومن ثلاث ومن أعدادهن من الإبل)[77].

اقرأ القرآن وكلما وصلت إلى رأس آية قل: الآن ربطت ناقة بفناء بيتي، وإذا وصلت إلى عشر آيات فقل: الآن ربطت عشر نياق بفناء بيتي، فإذا قرأت سورة البقرة –مثلاً- فقل الآن ربطت مائتين وستا وثمانين ناقة زهراء كوماء في بيتي.

بل ووالله الآيات خير لك من النوق، كما أخبر حبيبك صلى الله عليه وسلم، ولكن أكثر الناس لا يوقنون!!.

2-وروى الترمذي بسنده عن عبدا لله بن مسعود –رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ( الم ) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف)[78].

ومعنى ذلك أن المسلم لو قرأ سورة الفاتحة وهي مائة وثلاثة عشر حرفاً أعطي عليها –بفضل الله- ألفاً ومائة وثلاثين حسنة، ولذلك كانت قراءة القرآن تجارة من أربح التجارات كما قال تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)[79].

3-وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[80].

4-وروى الترمذي بسنده عن النواس بن سمعان- رضي الله عنه - أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران) قال نواس: وضرب لنا رسول

---

[75] - الصفة هي: ظلة كانت في مؤخرة مسجد النبي –صلى الله عليه وسلم- يجلس فيها زهاد الصحابة وفقراؤهم وكان أبو هريرة عريفهم.

[76] - بطحان والعقيق: واديان بمكة.

[77] - فضائل القرآن: لأبي عبيد ص 237، ورواه مسلم في صحيحه بنحوه في ك فضائل القرآن 197/2.

[78] - الترمذي :السنن برقم (3075) ك فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، وقال: (حسن صحيح غريب) وخرجه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (2910).

[79] - الوصايا المنبرية شرح أربعين حديثاً من الوصايا النبوية: للشيخ / عبدالعظيم بن بدوي ص 401 ط دار ابن رجب –المنصورة 1418هـ-1997م، والآيتان من سورة فاطر 29-30.

[80] - رواه الترمذي في السنن برقم (2950)ك القراءات ، وقال (هكذا روي عن غير واحد عن الاعمش) صحيح سنن الترمذي للألباني برقم (2945).

الله –صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: (يأتيان كأنهما غيايتان وبينهما شرق، أو كأنهما غمامتان سوداوان، أو كأنهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبيهما)[٨١].

قال صاحب تحفة الأحوذي: (ومعنى يأتي القرآن: أي ثواب القرآن وقراءته، ومعنى الغياية: كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه كالسحابة ونحوها)[٨٢].

5-وروى الترمذي –أيضاً- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك)[٨٣].

هذه شفاعة سورة واحدة، فما بال شفاعة القرآن كله؟.

6-وأخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه، عن أنس –رضي الله عنه- قال: قال رسول –صلى الله عليه وسلم-: (من هداه الله للإسلام، وعلمه القرآن، ثم شكا الفاقة، كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه، ثم تلا النبي –صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)[٨٤].

7-وروى الدارمي في سننه.. عن عبدا لله بن مسعود –رضي الله عنه- قال: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم فإني لا أعلم شيئاً أصغر من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب كخراب البيت الذي لا ساكن له)[٨٥].

8-وروى الدارمي –أيضاً- بسنده عن ثابت بن عجلان –رضي الله عنه -قال: (كان يقال: إن الله يريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة: صرف ذلك عنهم، قال مروان: يعني بالحكمة: القرآن)[٨٦].

9-روي الترمذي – رضي الله عنه - أن علياً قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول: (ألا إنها ستكون فتن)، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم)[٨٧].

---

[81] - عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري رواه الترمذي في السنن برقم (2888) ك فضائل القرآن ، قال : (غريب من هذا الوجه)صحيح سنن الترمذي للألباني برقم (2883) وهو عند مسلم في الصحيح برقم (805).

[82] - تحفة الأحوذي 155/8 ط دار احياء التراث العربي -بيروت

[83] - الدرامي السنن برقم (3054) ك فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك، وقال: (حديث حسن).

[84] - السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 368/4.

[85] - الدارمي السنن: برقم (3350) ك فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، وقال المحقق: (حسين سليم أسد الداراني: رجاله ثقات، غير أن أبا سنان متأخر السماع من أبي إسحاق وهو موقوف على ابن مسعود، وأخرجه ابن أبي شيبة برقم (10071) من طريق أبي معاوية بإسناد صحيح) 2084/4.

[86] - الدارمي السنن: برقم (3388) ك فضائل القرآن، باب من تعاهد القرآن، وقال المحقق: (إسناده ضعيف لضعف رفدة بن قضاعة وهو موقوف على ثابت 2107/4.

[87] - رواه الترمذي في سننه: برقم (3070) ك فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات..) وله شاهد حسن في سنن الدارمي: برقم (3375) ك فضائل القرآن، باب من قرأ القرآن، وقال عنه المحقق: (إسناده حسن 2100/4.

10-وعن عبدا لله بن عمرو –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحدّ مع من حدّ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله تعالى)[88].

وبعد: فهذه الطائفة اليسيرة من الأحاديث التي تيسر لي الاستشهاد بها في هذا المبحث ليست إلا شيئاً قليلاً مما ورد في فضائل القرآن الكريم في السنة النبوية،ومن خلال ما سبق ذكره من الأحاديث التي جاءت في فضل القرآن الكريم ، تبين لنا تأكيد النبي –صلى الله عليه وسلم – في بيان فضائله ، مثل مضاعفة الثواب والأجر لمن يقرأه ، وكذلك شفاعته له ، وكذلك رفعه لمن يقرؤونه إلى مقام الأنبياء – الاانه لايوحى اليهم .

وكلها فضائل بعضها أعظم من بعض ، ويجب على الأمة أن تستجيب لهذه الدعوة النبوية لقوله تعالى(يا أيها الذين ءامنو استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم..)([1])

## ثالثاً: قالوا عن القرآن:

لقد كان ما مضى ذكره من فضائل القرآن: من كلام رب العالمين الذي أنزل القرآن، ومن كلام سيد المرسلين الذي نزل عليه القرآن، ومن تعليقات بعض المؤمنين الذين آمنوا بالقرآن.

وإليك طائفة من أقوال بعض المفكرين[89]، الذين لم يؤمنوا بالقرآن، ولكنهم شهدوا بفضله فأنصفوا، والفضل ما شهدت به الأعداء.

**1**)قال (جاستون كارمن) من مستشرقي فرنسا المشهورين: (إن القرآن –وهو منبع هذا الدين العقلي ودستوره- قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم، ففي إمكاننا أن نقول: إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام).

2)وقال المستشرق (كارلايل) وهو من أساتذة جامعة كمبردج: (إن علوية القرآن في حقيقته العالية، فهو حافل بالعدل والإخلاص، والدعوة التي بلغها محمد على العالم حق وحقيقة).

3)وقال (ستفاس) مؤلف قاموس عربي إنجليزي: (القرآن واحد من أهم الكتب التي انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها.. فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة للناس بالتوفيق والهداية في حياتهم).

4)وقال المستشرق (سيديو) في كتابه (تاريخ بلاد العرب): (القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفلسفة، فالفضيلة والرذيلة والخير والشر وما هية الأشياء الحقيقية كلها مبينة في القرآن.. فقد أوحيت آياته إلى محمد بحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد).

5)وقال الفيلسوف الفرنسي (الكس لوازون) في كتابه حياة محمد: (خلف محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الأخلاق، وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية التي اكتشفت حديثاً أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية).

7)وقال الكاتب الأمريكي (واشنطن إيرفينج): (يحوي القرآن أسمى الآراء وانفعها وأكثرها إخلاصاً).

---

[88] - رواه أبو عبيد في: فضائل القرآن ص 53، والبيهقي في شعب الإيمان 177/4، والحاكم 1في المستدرك /552 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي.

[1]– سورة الانفال 24

[89] - لا بد من الوضع في الاعتبار أن اعترافهم بمزايا الإسلام وفضائل القرآن اعتراف جزئي ناقص، ولكن لا بأس من إيراد شهاداتهم على ما فيها، لعل ذلك يحرك في المسلم شعور الإحساس بالنعمة التي بين يديه.

8)وقال المستشرق والفيلسوف الألماني (بوجان يعقوب رايس): ما إن يتعلم بعض الناس قليلاً من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة الاستهزاء بالقرآن، ولو استمعوا إلى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة والعظيمة المؤثرة، وأحسوا باللسان المحير للألباب، الذي استخدمه الرسول حين أفهم أصحابه القرآن، لوقعوا في الحضرة الإلهية ساجدين صالحين).

9)وقال (ليون): (حسب القرآن جلالاً ومجداً، أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف –ولو بعض الشيء- من أسلوبه الذي لا يزال غضاً، كأن عهدها بالوجود أمس).

10)وقال (جيمي ميتشز): (لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تقرأ في العالم، وهو –بكل تأكيد- أيسرها حفظاً، وأشدها أثراً في الحياة اليومية لمن يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم، وهو مكتوب بأسلوب رفيع... ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه، وتزداد إيماناً وسمواً، وأوزانه ومقاطعه كثيراً ما قورنت بأصداء الطبيعة.. ومن الملاحظ أن القرآن يتسم بطابع عملي يتعلق بالمعاملات بين الناس، وهذا التوفيق بين عبادة الإله الواحد وبين التعاليم العملية، جعل القرآن كتاباً فريداً ووحدة متماسكة)[90].

## المبحث الثاني
## مكانة حملة القران الكريم ومعلميه وحقه عليهم

**أولا: في فضائل حملة ومعلمي القرآن الكريم :**

الحق أنه: إنما يعظم قدر العامل بمقدار عمله الذي يعمله، وليس هناك عمل أجل ولا أشرف من تعلم وتعليم كتاب الله –عز وجل- فمنزلة حملة ومعلمي القرآن ترجع في سموها ورفعتها إلى سمو ورقي كتاب الله –عز وجل- فالمعلمون لكتاب الله هم بمثابة السبب الذي سببه الله –عز وجل- ليحقق بهم قوله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[91].

ولهذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يكرم ويقدم حملة القرآن ومعلميه، وثبت عنه في هذا أحاديث كثيرة جداً نذكر هنا منها[93]:

❑روى البخاري في صحيحه بسنده عن عثمان بن عفان –رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[94].

فهذا تقرير من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بالخيرية على الإطلاق لمن تعلم القرآن وعلمه.

ويعلق الحافظ ابن حجر – رحمه الله على هذا الحديث بقوله:(.. نقول القرآن أشرف العلوم، فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه.. ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والمتعدي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى الله –سبحانه وتعالى- بقوله: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)[92]، والدعاء إلى الله يقع بأمور

---

[90] - راجع هذه الأقوال: في رحاب التفسير: للشيخ / عبدالحميد كشك 1/27-28 ط المكتب المصري الحديث-القاهرة.

[91] - سورة الحجر 9.

[93] - البخاري (5027) ك فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

[94] - سورة فصلت 33.

شتى من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى: (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها)[95].أ.هـ[96]

ومن هذا يتبين أن القرآن ومعلميه في أسمى مراتب الدعاة إلى الله ، وإن لم يصعدوا منبراً أو يتصدروا مجلس وعظ.

❑وروى أبو عبيد القاسم بسنده عن عبدا لله بن كريز قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأمور، ويبغض –أو قال يكره- سفاسفها، وإن من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه)[97].

ورواه الطحاوي عن ابن أبي مليكة قال: (ثلاثة حق عليك توقيرهم: ذو السلطان المقسط، وذو الشيبة المسلم، وحامل القرآن)[98].

فأكرم بمقامكم يا حملة ومعلمي القرآن أن جعل الله توقيركم وإكرامكم من إجلاله وتعظيمه ، وعلى الأمة الإسلامية أن توقر حملة كتاب الله تعالى وتقدرهم التقدير اللائق ، وإلا كانت الأمة مضيعة لحق من الحقوق.

❑وروى ابن ماجة بسنده عن أنس –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (إن لله من الناس أهلين، قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته)[99].

فالله تعالى ما جعل بينه وبين أحد نسباً، وعاب وتوعد من جعلوا بينه وبين بعض خلقه نسباً، ولكن تفضل الله تعالى على أهل القرآن بأن اصطفاهم واختارهم ليمنحهم هذه الأهلية المعنوية إكراماً لهم ورفعاً لمنزلتهم.

❑وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكى على مسك).[100].

وفي كلا الجرابين خير، الذي أوكى على المسك، والذي فاح منه المسك في كل مكان.

❑وروى مسلم والترمذي بسنديهما عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ...)[101].

قال المباركفوري –رحمه الله- : (الأترجة وهي أحسن الثمار الشجرية.. ووجه التشبيه بها لأنها أفضل ما يوجد من الثمار في سائر البلدان وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها، فمن ذلك كبر جرمها وحسن منظرها، وطيب مطعمها، ولين ملمسها، تأخذ الأبصار صبغة ولوناً.. تتوق إليها النفس قبل التناول، تفيد آكلها بعد الالتذاذ بذوقها، طيبُ نكهة ودباغُ معدة)[102].

---

[95] - سورة الأنعام 157.

[96] - فتح الباري 76/9 ط دار الفكر-بيروت.

[97] - فضائل القرآن ص 270، وابن المبارك في الزهد ص 131، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (359) وقال المحقق أحمد عبدالرزاق البكري: (حسن الإسناد).

[98] - مشكل الآثار 133/2، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله 164/1.

[99] - ابن ماجة السنن: برقم (215) في المقدمة، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة 91/1: (هذا إسناد صحيح رجاله موثقون)، ورواه الدارمي في سننه برقم (3369) ك فضائل القرآن.

[100] - الترمذي برقم(3041)ك فضائل القرآن،باب:ماجاء في سورة البقرةوآية الكرسي(وقال:حديث حسن).

[101] - مسلم في صحيحه: ك صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن، والترمذي برقم (3025) ك الأمثال، باب: ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ وقال: (حديث حسن صحيح).

[102] - تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي 133/8.

❑وروى البخاري في سنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل)[103].

وفي هذا ما يدل على أن صاحب القرآن يحسده الناس على ما هو فيه من نعمة ومنزلة عالية، وقد أحسن الإمام البخاري –رحمه الله- صنعاً عندما ترجم لهذا الباب بعنوان (باب: اغتباط صاحب القرآن).

فكم من صاحب قرآن وهو مغبون في هذه النعمة، الناس من حوله يغبطونه ويتمنون أن لو أوتوا مثل ما أوتي فيعملون بمثل عمله، وهو لا يدري.

ولذلك جاء في الحديث تذكير لصاحب القرآن بهذه النعمة العظمى: (من أوتي القرآن وظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد استقل نعمة الله عليه)[104].

❑وروى أبو عبيد القاسم عن الأعمش قال: (مر أعرابي بعبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- وهو يُقرئ قوماً القرآن –أو قال وعنده قوم يتعلمون القرآن- فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود –رضي الله عنه- يقتسمون ميراث محمد –صلى الله عليه وسلم-)[105].

فأكرم به من ميراث لم تخالطه شائبة حرام، فكم من وارث ولا يترك لمورثه إلا ميراثاً حراماً أو اختلط بحرام، أما ميراث حملة القرآن ومعلميه فهو ميراث صاف من كل شوائب الحرمة، مورثهم هو الله ورسوله، قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)[106].

❑وروى الترمذي بسنده عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران)[107].

والسفرة الكرام البررة هم من خواص ملائكة الرحمن جل وعلا، سموا بذلك لأنهم في نزولهم بالوحي كالسفراء بين الله وعباده، وأخلاقهم بارة وأفعالهم طاهرة كاملة[108]، والذي يقرأ القرآن بتمهر ويُقرئ غيره يرتقي إلى درجة هؤلاء الخواص من الملائكة الكرام ويصبح بمثابة سفير عن الله –تعالى- يقرأ ويقرئ ويعلم الناس كلام رب العالمين.

❑وروى الترمذي –أيضاً- بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول[109]: يا رب حلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة)[110].

---

[103] - البخاري برقم (5026) ك فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن.

[104] - أورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم (2317) وعزاه إلى البخاري في التاريخ والبيهقي في شعب الإيمان، وقال: (هو مرسل عن رجاء الغنوي) 518/1 ط مؤسسة الرسالة –بيروت 1989. وأورده صاحب إتحاف السادة المتقين 132/9 وقال: (قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي.. ورجاء مختلف في صحبته.. ورواه ابن حبان وقال: رجاء تابعي ثقة يروي المراسيل).

[105] - أبو عبيد في فضائل القرآن ص 241.

[106] - سورة فاطر 32.

[107] - الترمذي في السنن برقم (3068) ك فضائل القرآن، باب:ما جاء في فضل قارئ القرآن (وقال: حسن صحيح).

[108] - انظر المباركفوري تفسير ابن كثير 472/4.

[109] - القائل هو القرآن كما يوضح ذلك رواية الحاكم (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن:...).

[110] - الترمذي برقم (3076) ك فضائل القرآن، باب:ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر. (وقال: حسن صحيح).

فحملة القرآن وأصحابه ينتظرهم من العز والكرامة، تيجان وحلل، هي أبهى والله من تيجان وحلل الملوك، فكم من ملك متوج محلى، وآثار الذلة والنقص في قلبه وتظهر في أفعاله، أن حملة القرآن ملوك ، بل أعز من الملوك لو كانوا يوقنون.

❑وعند الترمذي –أيضاً- عن ابن عمر –رضي الله عنهما- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (يقال – يعني لصاحب القرآن- اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)[111].

قال الإمام الخطابي –رحمه الله-: (جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقارئ: ارق الدرج على ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة).[112]

❑وفي الأثر عن أنس –رضي الله عنه- قال: (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة)[113].

وروي هذا الأثر أيضاً عن عطاء بن يسار –رحمه الله- قال: (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة)[114].

ومعنى (عرفاء) أي المقدّمون.

وفي الأثر عن علي –رضي الله عنه- قال: (حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله)[115].

وهذه فضيلة جديدة لحملة القرآن: في ظل الله، وفي مقدمة أهل الجنة، صدارة في الدنيا فالناس لهم تبع، وصدارة في الآخرة، مع ما يعمهم من ظل الله ورحمته.

❑وعن أنس –رضي الله عنه- : أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال لأُبيّ بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا، قال: وسماني لك، قال: نعم، فبكى)[116].

قال الإمام النووي –رحمه الله- معلقاً : (وفي الحديث فوائد كثيرة: منها استحباب قراءة القرآن على الحُذَاق فيه وأهل العلم به والفضل، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه...)[117].

وفي الحديث ما يفيد أن أبي بن كعب بكى فرحاً لما سمع من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أن الله سماه له بالاسم، فهذا شرف عظيم لأبيّ حامل القرآن.

قال النووي –رحمه الله- أيضاً: (واختلفوا في الحكمة في قراءته –صلى الله عليه وسلم- على أبي، والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الإتقان والفضل، ويتعلموا آداب القراءة، ولا يأنف أحد من ذلك، وقيل: للتنبيه على جلالة أبي وأهليته لأخذ القرآن عنه، وكان بعده –صلى الله عليه وسلم- رأساً وإماماً في إقراء القرآن، وهو أجلّ ناشريه أو من أجلهم)[118].

ومن خلال هذه الأحاديث والآثار ظهر جلياً مدى سمو وارتفاع منزلة حملة القرآن ومعلميه:-

1- من خير الناس وأفضلهم.
2- توقير الله و اجلالة لهم بان جعل توقيرهم من تعظيمه سبحانه .

---

[111] - الترمذي برقم (3081) ك فضائل القرآن، باب:بدون ترجمة. (وقال: حسن صحيح).
[112] - انظر المباركفوري: تحفة الأحوذي 187/8.
[113] - رواه الديلمي في فردوس الأخبار برقم (2515) باب الحاء، ط دار الفكر –بيروت 1997.
[114] - الدارمي السنن: برقم (3527) ك فضائل القرآن (وقال المحقق: إسناده ضعيف).
[115] - رواه الديلمي في فردوس الأخبار برقم (2514) باب الحاء، ط دار الفكر –بيروت 1997.
[116] - مسلم في صحيحه: ك صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل.
[117] - شرح صحيح مسلم 86/6.
[118] - السابق 86/6.

3- هم أهل الله وخاصته من خلقه.
4- مثلهم كمثل الجراب الذي حشي مسكاً يفوح منه الريح الطيب .
5- مثلهم كمثل أطيب الثمار ريحاً وطعماً .
6- حملة القرآن: لعظيم نعيم الله عليهم ، أجيز غبطتهم ، ومنافستهم فيما هم فيه .
7- حملة القرآن الماهرون يرتفع بهم القرآن إلى درجات الملائكة الموكلين بالوحي فهم بمثابه سفراء عن الله .
8- حملة القرآن يحلون يوم القيامة ويتوجون بتيجان وحلل العزة والكرامة .
9- حملة القرآن في مقدمة أهل الجنة دخولاً إن شاء الله .

## ثانياً: حق القرآن على حملته ومعلميه:

سبق أن للقرآن كرامة ومنزلة تجعل حقه على الناس عظيماً وفي هذه الفقرة أحاول بيان حق القرآن على حملته ومعلميه ، وبدأ هذا البيان بكلام نفيس:-

للإمام القرطبي – رحمه الله- قال: (ينبغي لصاحب القرآن أن يخلص في طلبه لله عز وجل.. وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه، روى مسلم عن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت).. وينبغي له أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتصماً وللموت ذاكراً، وله مستعداً وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه إذ لا يعلم بما يُختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه لحسن الظن بالله.. وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه، وقال ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وقال عبدا لله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن، لأن في جوفه كلام الله تعالى).

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات، ويقلل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه.

ويأخذ نفسه بالحلم والوقار، وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب، وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره، ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نمَّ عنده، ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الخلاق ويزينه ولا يشينه، وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟.. وينبغي له أن يعرف المكي من المدني ليفرق بذلك بين ما خاطب به الله عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام،.. ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب فذلك يسهل عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو.. فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهراً بالقرآن، وعالماً بالفرقان، وهو قريب على من قرَبه عليه..)[119].

[119] -القرطبي الجامع لأحكام القرآن 1/21-22.

ومن خلال كلام القرطبي – رحمه الله - يمكن أن نستخلص أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها حملة القرآن قياماً بحقه عليهم ، وهي كما يلي:-

1- الإخلاص: بان يتوجه حامل القرآن بنيته إلى الله سبحانه وتعالى من حمله وتعليمه القرآن وان يطرد كل نية فاسدة ، تصرف غايته إلى أن يسمع مديح الناس وثناءهم بأنه قارئ وعالم.
2- الوقار: بان يكون حامل القرآن وقوراً في نفسه وأفعاله .
3- الحلم: فحامل القرآن ينبغي أن يكون حليماً متأنياً ، لامتهوراً متعجلاً .
4- التواضع فلا يليق بحامل القرآن أن يتكبر ، وهو الذي يقرأ قوله تعالى(وله الكبرياء في السماوات والأرض) فهل يليق به أن ينازع الله تعالى رداءه؟ .
5-العمل بما في القرآن : فإن حامل القرآن إن لم يعمل به عرض نفسه لأشد المقت والغضب من الله ، قال تعالى : (يا أيها الذين ءامنو لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ([2])، (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب افلاتعقلون)([3])وصار كالحمار يحمل أسفارا ، قال تعلى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارً) ([4])وكان أبو عبد الرحمن السلمي –من أشهر معلمي القرآن من التابعين- إذا ختم عليه الخاتم أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذي علمت)[120].

وهذا يعني أن حامل القرآن ينبغي أن يكون قدوة ومثلاً يحتذيه الآخرون، متواضعاً بعيداً عن الجدال والمراء، رفيقاً مؤدباً، يصاحب الأخيار، يؤمن شره ويرجى خيره، قليل الضحك والكلام بما لا يفيد لأنه يقرأ (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف ...) لا يخوض مع الخائضين ولا يجهل مع الجاهلين، بل يعفو ويصفح، لا يسمح لأحد أن ينُمَ عنده وينقل الأخبار إليه، لأنه يعلم أنه (لا يدخل الجنة نمام)، إنساناً فاهماً عالماً ليس بجاهل، يتلو آناء الليل وأطراف النهار راجياً مرضاة ربه، عارفاً بنعمة القرآن معظماً لها، معتزاً بها، محافظاً عليها حتى لا تضيع وبهذا .

فلو أصبح في كل بيت أو حارة نموذج مثل هذا، لما استعصى على الناس أن يحصلوا على القدوة التي يبحثون عنها ولا يجدونها، فتتسع دائرة النماذج القرآنية، ويسود منهجه في المجتمع.

ولا تحسبن يا حامل القرآن أن هذه الأمور مجرد آداب يستحب في حقك أن تتأدب بها، بل هي واجبات توعد الله ورسوله من ضيعها.

قال الله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)[121].

وقال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[122].

---

(2)– سورة الصف 2، 3
(3)– سورة البقرة 44
(4)– سورة الجمعة 5
120 - القرطبي : الجامع لاحكام القرآن 7/1
121 - سورة الأعراف 175-176.
122 - سورة طه 124-126.

سواء كان النسيان نسيان الحفظ أو نسيان العمل به، وقد اعتبر كثير من السلف نسيان القرآن من الكبائر[123].

وذكر النبي –صلى الله عليه وسلم- أول من يقضى عليهم يوم القيامة.. ومنهم: (رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، فيقول الله تعالى: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار..).

فلنحذر يا حملة القرآن من تضييع حق القرآن من التلاوة والعمل والإخلاص والتأثر بما فيه.

ولا تفعلن كما يفعل بعض الجهلة الذين يقولون إذا كان الأمر كذلك وأن حمل القرآن مسؤولية خطيرة وجسيمة فأنا لا أحمل القرآن أصلاً خوفاً من أن لا أقوم بتلك المسؤولية كما ينبغي، فهذا والله محروم، حرم نفسه بنفسه، فهو مثل البيت الخرب كما مضى في الأحاديث، وإنما احرص على شرف القرآن واستعن بالله، وإذا بدر منك شيء فاستغفره فإنه غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

## المبحث الثالث

## التأهيل للإمامة والقيادة

الإمامة العظمى منصب خطير، له أهميته في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع([1])، لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[2].

وهي فرض على الكفاية، فإذا قام بها من هو أهلها سقط، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع)[3].

ويجب فيمن يتصدر للإمامة العظمى شروط تؤهله لحراسة الدين وسياسة الأمة، من أهمها: العدالة والعلم المؤدي للاجتهاد في النوازل والأحكام، وسلامة الحواس، والرأي المفضي على سياسة الرعية وتدبير المصالح، والشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة والجهاد ضد المعتدين[4].

وملاك هذه الشروط كلها حفظ القرآن والعمل به، فحفظ القرآن وفهمه والعمل به يؤهل المتصدر للإمامة العظمى بالعدالة والعلم وسداد الرأي والشجاعة ... وغيرها.

وقد حفظ لنا التاريخ كيف توفر هذا الشرط في الخلفاء الأربعة الراشدين وقد أورد القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه -الانتصار- كلاماً نفيساً عن مدى حفظ الخلفاء الأربعة للقرآن الكريم، وأورد أخباراً تشهد لذلك، عقب عليها الآثار لعقب على الآثار التي استشهد بها على حفظ أبي بكر: هذه الأخبار كلها تدل على أنه يجب أن لا يتقدم في ذلك المقام الشريف إلا أقرأ الأمة لكتاب الله تعالى وأثبتهم فضلاً وصلاحاً، ولولا علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بذلك من حاله وسكونه إليه لم يؤمره على الناس في الموسم سنة تسع، وتقديمه يوم المجتمع الأعظم للصلاة بالناس وتعليمهم المناسك وأركان الحج وتقويمهم وإرشادهم في هذا الشأن العظيم والخطر الجسيم، فكل ما ذكرناه مع مقتضى العادة وموجبها في مثل حال أبي بكر يوجب أن يكون من كبار الحفاظ والأماثل)[5].

---

123 - د/محمد إبراهيم الشافعي: بصائر الجنان في علوم القرآن ص 268 مطبعة وهبة حسان-القاهرة 1989.

(1)- انظر الماوردي: الأحكام السلطانية ص 15 ط المكتبة التوفيقية – القاهرة.

(2) – سور النساء 59.

(3) – الماوردي : الاحكام السلطانية ص 17

(4) – المرجع السابق ص 18.

(5) - انظر الباقلاني: الانتصار للقرآن ص 184-185 ط دار الفتح – الأردن، دار ابن حزم –بيروت.

واستشهد على مكانة عمر رضي الله عنه بقول ابن مسعود –رضي الله عنه-: (ما أظن أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليهم حزن على عمر يوم أصيب إلا أهل بيت سوء، إن عمر كان أعلمنا بالله، وأقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله). ثم قال: (ولولا أن هذه حاله وصفته في حفظ القرآن وأنه من أقرأ الناس لكتاب الله لم يكن أبو بكر الصديق بالذي يضم إليه زيد بن ثابت ويأمرهما بجمع القرآن)[124].

قلت: وما كان أبو بكر ليعهد إليه –أيضاً- بالخلافة في مرضه الأخير لولا أن هذه صفته في حفظ القرآن.

وفي ثباته لتأهيل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقرآن ، ذكر قول علي –رضي الله عنه-: (وأنه كان إذا سئل كم بقي من الليل؟ قال: انظروا أين بلغ عثمان من القرآن). ثم قال: (فمن هذه حاله في ختم القرآن في ركعة، ومن تقدر ساعات الليل وماضيه وباقية بدرسه للقرآن وقيامه به، كيف يتوهم أنه لم يكن حافظاً جامعاً للقرآن)[125].

وما كانت الأمة بعد استشهاد عثمان –رضي الله عنه- لتجتمع على علي بن أبي طالب لتبايعه إلا وهي تعرف فضله وتقدمه في الحفظ والإقراء، وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي من تلاميذ علي وأخذ عنه القرآن، وكان يقول: (ما رأيت رجلاً أقرأ للقرآن منه)[126].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن مؤهل الأئمة الخلفاء الأربعة هو حفظهم وفهمهم وقيامهم بكتاب الله عز وجل.

وقد ذكر الماوردي واجبات الإمام ومنها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، والدعوة إليه مع جهاد المعاندين، وإقامة الحدود لتصان الحرمات، ومباشرة الأمور بنفسه، وجباية الفيء والصدقات وتحصين الثغور...[127].

ولا يؤهل للقيام بهذه الواجبات إلا رجل حمل القرآن وفهم أمره ونهيه، وهذا يتضح من خلال النظر فيمن تولى ولم يكن القرآن مؤهله، ضيع الدين ونقص منه الكثير، وأسقط الحدود فانتهكت الحرمات، وحوربت الدعوة إلى الله، وترك جهاد المعاندين، واكتفى بتفويض الأمور إلى بطانة سوء تحول بينه وبين وصول أصوات الرعية إليه.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكذلك القضاء من الولايات المهمة التي ينبغي أن يكون القرآن مؤهل المتصدرين لها.

روى مسلم بسنده عن عامر بن الطفيل أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان –وكان عمر استعمله على مكة- فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال رجل من موالينا، قال عمر فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض قاض، قال عمر: أما إن نبيكم –صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين)[128].

وهكذا أقر عمر –رضي الله عنه- ولاية ابن أبزى على الرغم انه من الموالي لما عرف مؤهلاته وأن القرآن على رأسها (إنه قارئ لكتاب الله تعالى).

---

124 - المرجع السابق ص 188.

125 - المرجع السابق ق ص 190.

126 -المرجع السابق ص 192-193.

127 - انظر: الماوردي الأحكام السلطانية ص 38-39.

128 - صحيح مسلم بشرح النووي: ك صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

## المبحث الرابع

## التأهيل للإمامة في الصلاة

الإمامة في الصلاة عمل رفيع، ومسؤولية خطيرة، كيف لا وهي قيادة الناس بين يدي رب العالمين –سبحانه وتعالى-، ومن هنا لا يتقدم لها إلا المؤهل لها، الذي يعرف للمسؤولية قدرها، وخير ما يؤهل المسلم للقيام بهذه المسؤولية العظيمة:حفظ القرآن الكريم وفهمه.

- وهذا هو الثابت من فعله –صلى الله عليه وسلم- حيث كان يقدم للإمامة أكثر الناس حفظاً للقرآن ويأمرهم بذلك.

- روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم)[129].

- فإذا تساوى الجميع في حفظ القرآن يضع لهم النبي –صلى الله عليه وسلم- أسساً للترجيح والمفاضلة.

- فعن أبي مسعود الأنصاري –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله –عز وجل- فإن كانوا في القراءة سواء: فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء: فأقدمهم هجره، فإن كانوا في الهجرة سواء: فأكبرهم سناً، ولا يُؤم الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه)[130].

- وعند مسلم بسنده عن مالك بن الحويرث- رضي الله عنه- قال: (أتينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ونحن شبيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- رحيماً رفيقاً، فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم)[131].

- قال الإمام النووي –رحمه الله-: (.. استووا في الأخذ عنه ولم يبق ما يقدم به إلا السن)[132].

- وقال –أيضاً- حاسماً لخلاف الفقهاء حول من أحق بالإمامة الأقرأ أم الأفقه: (في قوله –صلى الله عليه وسلم-: فإذا كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، دليل على تقديم الأقرأ مطلقاً..)[133].

- وهذا هو مذهب الحنابلة وبعض الشافعية والحنفية، ويرى غيرهم تقديم الأفقه، لأن الإمام قد ينوبه في الصلاة ما لا يدري ما يفعل فيه إلا بالفقه فيكون أولى، وأجابوا عن الحديث: بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه، وهو المخاطب في ذلك العصر، ولكن الحديث (فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة) يدل على تقديم الأقرأ مطلقاً.. والله أعلم[134].

- والقرآن الكريم مؤهل لتقديم الصبي والعبد للإمامة ولو وجد في المأمومين من هو أكبر منه أو كان من علية القوم.

- ففي باب إمامة الغلام قبل أن يحتلم روى النسائي بسنده عن عمرو بن سلمة الجرمي- رضي الله عنه - قال: كان يمر الركبان فنتعلم منهم القرآن، فأتى أبي النبي –صلى الله عليه وسلم- فقال: (ليؤمكم أكثركم قرآناً،

---

129 - مسلم برقم (672) ك المساجد، باب من أحق بالإمامة.

130 - رواه الترمذي برقم(235) ك الصلاة، باب من أحق بالإمامة. (وقال: حديث صحيح). وأخرجه مسلم في: ك المساجد، باب من أحق بالإمامة. (بلفظ قريب).

131 - مسلم: برقم (674) ك المساجد، باب من أحق بالإمامة.

132 - شرح النووي على مسلم 175/5.

133 - المرجع السابق 173/5.

134 - د/ علي أحمد القليصي: فقه العبادات 249/1 (بتصرف) ط مكتبة الإرشاد –صنعاء.

فجاء أبي فقال: إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (ليؤمكم أكثركم قرآناً)، فنظروا فكنت أكثرهم قرآناً، فكنت أؤمهم وأنا ابن ثمان سنين)[135].

- وهذا هو مذهب الشافعية وبعض فقهاء التابعين، وخالف المالكية والحنفية والحنابلة فأجازوا إمامة الصبي في النفل دون الفرض، والحديث يدل على صحة إمامة الصبي في الفرض، وهو صحيح ولا معارض له والله أعلم[136].

- وروى أبو عبيد القاسم بسنده عن ابن عمر –رضي الله عنهما- : أن سالماً كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة بن عبد الأسود وزيد بن حارثة وعمر بن ربيعة..)[137].

وكان سالم مولى لأبي حذيفة، رضوان الله عليهم جميعاً، سمعه النبي –صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ ذات ليلة في المسجد فخرج يجر رداءه، ثم لما فرغ، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: (الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك)[138].

- ولعلك –أخي الحبيب- قد وعيت الدرس المراد وهو أن القرآن مؤهل للإمامة في الصلاة، وهو كفيل –بإذن الله- أن يرفع صاحبه ويقدمه على من سواه، وما أكثر من يتصدر للإمامة اليوم وحظه من كتاب الله بضع آيات، وقد لا تخلو من خطأ فيها.

- فحُق على من يتعرض لإمامة الناس في الصلاة أن يوثق صلته بكتاب الله عز وجل تلاوة وحفظاً وتجويداً، وعملاً به، لعله أن يحظى من النبي –صلى الله عليه وسلم- بمثل ما حظي به سالم مولى أبي حذيفة: (الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك).

## المبحث الخامس

## التأهيل بالقرآن للقيادة العسكرية

إمارة الجيوش وقيادتها أمر ليس بالهين، فالجيوش عندما تذهب إلى الميدان لا تذهب للتسلية ولا للنزهة، وإنما تذهب لتدفع المفسدين حتى لا تفسد الأرض، كما قال تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)[139].

فهي إذن تذهب لأمر جلل، قد تطير فيه رقاب وأيد وأرجل، وقد تزهق فيه أرواح، وهذا الأمر يتطلب لنجاحه –بعد توفيق الله- إلى قيادة حكيمة رحيمة، تقدر المسؤولية، وبالطبع ليس هناك منهج كمهج القرآن في توضيح أبعاد المسؤولية والجزاء عليها بالخير والشر، قال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)[140].

ومن المناسب هنا أن نبين مفهوم القيادة العسكرية وهي: عبارة عن تولي إدارة شئون فرقة عسكرية وجيش ، وهذا يعني الأشراف الكامل على هذه الفرقة العسكرية والجيش ، وتدبير شئونها من طعام وشراب وتدريب وتخطيط ، وتفقد مستمر ومتابعة ، ووعظ ورفع همة ، وتلقين لنظام الحرب في الإسلام ، وكيفية التعامل مع

---

[135] - النسائي السنن: ك الإمامة، باب إمامة الغلام قبل أن يحتلم، ورواه البخاري في كتاب المغازي.

[136] - د/ القليصي: مرجع سابق 245/1 وانظر النووي: المجموع 149/4، الشوكاني نيل الأوطار 188/3.

[137] - فضائل القرآن ص 273.

[138] - ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة: /286ترجمة برقم(3048)ط دارالفكر.بيروت 2001

[139] - سورة البقرة 251.

[140] - سورة الزلزلة 7-8.

الأسرى والضعفاء ..ونحو ذلك ، ولاشك إنه إذا توفر للجيش قائد أو أمير حافظ لكتاب الله تعالى –عامل به- فسيكون رحمة، يتقدم لا يضن بنفسه، ولا يعرضهم للهلاك إلا في نصر محقق، ولا يتجبر في الأرض حتى على خصمه، فمتى أمكنه الله من عدوه كف عنهم، ولا تحمله نشوة النصر على قتل الأبرياء استعراضاً للقوة، ولذلك كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يؤمر على الجيوش الأكثر حفظاً لكتاب الله عز وجل.

فعند الترمذي بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: بعث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بعثاً، وهم ذوو عدد فاستقراهم، فاستقرأ كل رجل منهم –يعني ما معه من القرآن- فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال: (ما معك يا فلان؟) فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: (أمعك سورة البقرة؟) قال: نعم، قال: (اذهب فأنت أميرهم)، فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها..)[141].

وكذلك كان الخلفاء الراشدون يكرمون الحفظة من الأجناد، ويضربون لهم بنصيب في بيت المال، فعن كنانة العدوي قال: (كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- إلى أمراء الأجناد أن ارفعوا إليّ كل من حمل القرآن، حتى ألحقهم في الشرف من العطاء، وأرسلهم في الآفاق فيعلمون الناس، فكتب إليه أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه- إنه بلغ من قبلي من حملة القرآن ثلاثمائة وبضع رجال..)[142]، وهاهو أيضا نموذج فريد للقائد العسكري الذي تم تأهيله بالقرآن انه القائد السلطان محمد الفاتح ، فلم يكن سلطان عرش فقط ، بل كان يخرج للقتال على رأس الجند ، ونأخذ هنا مثالاً واحداً الصورة من صوره في معاركه ، إلا وهي معركة القسطنطينية في (سنة 857هـ) .

كان محمد الفاتح يتابع جنوده بنفسه ، وكلما مر بجمع من جنده خطبهم واثأر فيهم الحمية ، وأبان لهم أنهم بفتحهم القسطنطينية سينالون الشرف العظيم والمجد الخالد والثواب الجزيل من الله تعالى ، وكان يوجه العلماء والشيوخ فيتجولون بين الجند يقرؤون على المجاهدين آيات الجهاد والقتال وسورة الأنفال ، ويذكرونهم بفضل الشهادة في سبيل الله ، وبالشهداء السابقين حول القسطنطينية وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري ..وبعد أن دعا محمد الفاتح القيامة ويتوجون خيمته دعا كبار رجال جيشه واصدر لهم التعليمات الأخيرة ، وقال لهم: إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله صلى اله عليه وسلم – ومعجزة من معجزاته ، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير ، فابلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذي ستحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً ، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم الإسلام نصب عينيه ، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى وليدعو القسس والضعفاء والعجزة الذين لايقاتلون...([2])

وليست إمارة الجيوش فقط هي التي يحتاج المتصدرون لها إلى القرآن كمؤهل، وإنما الجندية أيضاً، فالجندي الذي يحمل القرآن في قلبه يظهر أثره في سمعه وطاعته ، وتضحيته برسالته

وقد تكلم الماوردي في الأحكام السلطانية والولايات الدينية على الإمارة على الجهاد، وذكر أحكامها بالتفصيل، وهي في جملتها لا يستجمعها ويقوم بحقها إلا حافظ لكتاب الله –عز وجل-[3].وقد يقول قائل: كم

---

[141] - الترمذي في السنن:برقم(3041)ك فضائل القرآن،باب ماجاء في سورة البقرة وآية الكرسي(وقال:حديث حسن)

[142] - انظره في: لمحات الأنوار للغافقي 170/1.

[2]– محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ص 106، 107 ط دار التوزيع والنشر الاسلامية – القاهرة –الثانية 1424 هـ (بتصريف)

[3] - انظر: الأحكام السلطانية ص 69-108 ط المكتبة التوفيقية –القاهرة.

من حافظ للقرآن ولا خبرة له بالقيادة العسكرية ولا خطط القتال، فيكون الخبير العسكري خيراً من حافظ القرآن في القتال؟.

فأقول: ربما يكون هذا صحيحاً، لكن نحن نتحدث عن القرآن أيام أن كان واقعاً ملموساً، وكان مادة للمفاضلة حتى بين القادة العسكريين.

كانوا جميعاً جنوداً مقاتلين مدربين على مهام القتال، لكن يُفاضل بينهم باعتبارات من أهمها كثرة الحفظ لكتاب الله –عز وجل-.

فما الذي يمنع أن نربي القادة منا الآن على القرآن، وأن تقرر في الكليات الحربية والمدارس العسكرية مادة حفظ القرآن الكريم أو بعضه، مع بعض مواد الأخلاق التي تفيد في بناء القيادة العسكرية الإسلامية، بدلاً من التخوف من وجود القرآن وقرائه داخل المعسكرات، حتى أنه في بعض الدول الإسلامية ينظر للجندي والقائد الذي يحرص على تلاوة القرآن نظرة تخوف وحذر.

مع أن العكس هو الصحيح، فالشخصية العسكرية المحافظة على القرآن هي الأكثر فهماً لواجباتها من السمع والطاعة والحراسة ..وغيره.

هي الأكثر شجاعة واستبسالاً وثباتاً، هي الأكثر اجتماعاً لأسباب النصر، فليست أسباب النصر محصورة في التدريب وقوة السلاح، بل لابد من أسباب أخرى كالعدل والمحافظة على فرائض الله والتضرع إلى الله والاستعانة به سبحانه... وغير ذلك.

والعجيب أنه يسمح للجنود المسلمين في جيوش بعض الدول الغير مسلمة بإقامة شعائرهم وإقامة مصليات في القواعد العسكرية ونحو ذلك، وربما يكون هناك شيء من التحفظ نحو تلك المظاهر في جيوش بعض البلاد الإسلامية!!.

## المبحث السادس

## أثر حفظ القرآن الكريم في الاعفاف والتحصين

إن الله تعالى حرم الزنا ، واحل النكاح ، ويسر سبله ، حفاظاً على الأعراض ، وصيانة للابضاع ، وحفظاً للأنساب من الاختلاط ، حث في النكاح على تخير الصالحات وكذلك الصالحين، فقال تعالى(وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)

- وفي هذه الآية إشارة لطيفة القيامة ويتوجون أهمية توظيف المال في الاعفاف والتحصين ، لدفع المهور ، وتجهيز بيوت الزوجية ، وفيه أيضا – انه إذا عدم المال –أو قل الحظ منه – فلابد من قبول البديل وهو الصلاح والتقوى ، والله تعالى يعني الجميع من فضله فهو واسع عليم .
- وأعطى الشرع الحنيف لمن يريد الزواج من الجنسين حرية اختيار شريكه....

ولكن ينبغي أن يكون القرآن الكريم على رأس المرجحات في اختيار الزوجة أو الزوج، بمعنى أن يبحث الشاب عن صاحبة القرآن، وأن تبحث الشابة عن صاحب القرآن، وأن يقدم الآباء حفظة القرآن –إذا خطبوا بناتهم-إلى غيرهم من الخاطبين، وكيف لا يفعلون ذلك وصاحب القرآن ذو دين، وقد قال –صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[143].

نعم تكون فتنة عندما يُرفض حامل القرآن ويُقدم عليه غيره ممن لا خلاق لهم، وقد يكون من أهل الصفاقة والخلاعة، فتنة تزهد الناس في حمل القرآن، مادام أهله هكذا يُؤخرون، فاحذر أيها المؤمن من أن تشارك في هذه الفتنة.

[143] - رواه الألباني: في صحيح سنن ابن ماجة برقم (1998)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (1022).

ويمدنا التاريخ المشرف بما كان يفعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من تقديم حملة القرآن وتزويجهم بما يحفظون إذا لم يجدوا مهراً.

روى الترمذي بسنده عن أنس –رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: (هل تزوجت يا فلان؟) قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: (أليس معك قل هو الله أحد؟) قال: بلى، قال: (ثلث القرآن)، قال: (أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قال: (أليس معك قل يا أيها الكافرون؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قال: (أليس معك إذا زلزلت الأرض؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قال: (تزوج تزوج)[144].

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي، أن امرأة جاءت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فصعّد النظر إليها وصوّبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال له: (هل عندك شيء؟) فقال: لا والله يا رسول الله، قال: (اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟)، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً، قال: (انظر ولو خاتماً من حديد)، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري، قال سهل ما له رداء فلها نصفه، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (ما تصنع بإزارك؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء وإن لبستْه لم يكن عليك شيء)، فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مولياً، فأمر به فدعين فلما جاء، قال: (ماذا معك من القرآن؟) قال: معي سورة كذا وسورة كذا –عدها- قال: (أتقرؤهم عن ظهر قلب؟) قال: نعم، قال: (اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن)[145] وفي رواية (فقد زوجتكها بما معك من القرآن).

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: (قال ابن بطال: وجه إدخاله –أي الحديث- في هذا الباب أنه –صلى الله عليه وسلم- زوجه المرأة لحرمة القرآن.. وقال غيره: وجه دخوله أن فضل القرآن ظهر على صاحبه في العاجل بأن قام له مقام المال الذي يتوصل به إلى بلوغ الغرض، وأما نفعه في الآجل فظاهر لا خفاء فيه)[146].

وقد ترجم الإمام البخاري –رحمه الله- في كتاب النكاح من صحيحة لثلاثة أبواب مهمة في هذا الصدد:

الأول: (باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح) وذكر تحته حديث ثابت البناني قال: كنت عند أنس وعند ابنة له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقل حياءها، واسوأتاه، قال[147]: هي خير منك، رغبت في النبي – صلى الله عليه وسلم- فعرضت عليه نفسها)[148].

قال ابن حجر –رحمه الله-: (قال ابن المنيّر: من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استنبط من الحديث ما لا خصوصية فيه، وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه، فيجوز لها ذلك، وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه)[149].

---

144 - الترمذي:في السنن برقم (3058) ك فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت (وقال:حديث حسن).

145 - البخاري في صحيحه: برقم (5030) ك فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر قلب.

146 - فتح الباري 78/9.

147 - القائل: هو أنس –رضي الله عنه- لابنته.

148 - البخاري في صحيحه: برقم (5120) ك النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

149 - فتح الباري 175/9.

الثاني: (باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير) وذكر تحته حديثاً عن عبدا لله بن عمر –رضي الله عنهما- قال: (إن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي -وكان من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا إلي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوْجدُ عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ولو تركها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قبلتها)[150].

قال ابن حجر –رحمه الله-: (فيه عرض الإنسان ابنته وغيرها من مواليه على من يعتقد خيره وصلاحه، لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه لو كان متزوجاً لأن أبابكر كان حينئذ متزوجاً)[151].

- لتنظر أمة الإسلام التي ابتعدت –الآن- كثيراً عن هدي سلفها الصالح –رضوان الله عليهم- حتى أحال حياتها جحيماً، الصالح –الآن- يعرض نفسه ويرغب الناس عنه لا فيه، لأنه قد لا يكون على قدر من الثراء أو الجاه أو غير ذلك، ولا اعتبار لدينه ولا لصلاحه ولا ما يحمل من كتاب ربه عز وجل.

- (طريفة): قد يقول قائل: أين من هو في مثل صلاح عثمان بن عفان أو أبي بكر الصديق حتى أعرض عليه بناتي؟ يريد بذلك أن يبرر إعراضه عن الصالحين.

والجواب: نقول له: وأين من هي في مثل صلاح حفصة بنت عمر من بناتك؟وإنما قصارى الأمر أنه لا يقاس صلاح ابنتك بصلاح حفصة، ولا صلاح من نعرض عليه –الآن- بصلاح عثمان وأبي بكر، فإنه لا وجه للقياس، وإنما يكتفى بالاشتهار بالصلاح والالتزام بالدين، وحفظ كتاب الله تعالى أو ملازمته.

الثالث: (باب التزويج على القرآن وبغير صداق)، وساق تحته –أيضاً- حديث الواهبة نفسها الذي سبق إيراده[152].

وقد أثار الحافظ بن حجر في التعليق على هذا الباب معركة فقهية حامية الوطيس، في: هل يجوز الإمهار بالمنافع كتعليم القرآن أو القراءة والكتابة ونحوها؟ وهل يجوز تأجيل الصداق؟ فيكون النبي –صلى الله عليه وسلم- زوّج صاحب القرآن على أن يكون الصداق في ذمته؟ وإذا تم عقْد بلا صداق فما الحكم؟.. وغير ذلك.

وبعد عرض أقوال الفقهاء وطرقاً للحديث فيها زيادات أخرى مفيدة في نحو اثنتي عشرة صفحة من القطع الكبير، رجح –وهذا هو الشاهد- أن التزويج على القرآن –أي أن يعلمها- جائز ويعتبر صداقاً، وأنه إذا جاز أن يؤخذ عنه العوض –أي الأجرة في تعليم القرآن- جاز أن يكون هو عوضاً[153].

وأورد ابن حجر أكثر من رواية عن غير واحد من الصحابة بعضها فيه النص على أن النبي –صلى الله عليه وسلم- زوّج على سورة وسورتين وغير ذلك، فقال: (في رواية سهل بن سعد أن النبي –صلى الله عليه

---

150 - البخاري في صحيحه: برقم (5122) ك النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير.

151 -ابن حجر فتح الباري 9/178.

152 - انظره في صحيح البخاري برقم (5149)، وانظر ايضاً في ص 48 من هذا البحث

153 -ابن حجر انظر فتح الباري: 9/205-216.

وسلم- زوج رجلاً على سورتين من القرآن يعلمها إياها).. ووقع في حديث أبي هريرة قال: (ما تحفظ من القرآن؟ قال: سورة البقرة والتي تليها) كذا في كتابي أبي داوود والنسائي.. ووقع في حديث ابن مسعود قال: نعم سورة البقرة وسور المفصل)، وفي حديث ضميرة: أن النبي –صلى الله عليه وسلم- (زوج رجلاً على سورة البقرة لم يكن عنده شيء)، وفي حديث أبي أمامة: زوج النبي –صلى الله عليه وسلم- رجلاً من أصحابه امرأة على سورة من المفصل، جعلها مهراً لها وأدخلها عليه وقال: (علمها).. وفي حديث ابن عباس: (أزوجها منك على أن تعلمها أربع أو خمس سور من كتاب الله).. وفي حديث عن ابن عباس وجابر: (هل تقرأ من القرآن شيئاً؟) قال: نعم (إنا أعطيناك الكوثر)، قال: أصدقها إياها).

ثم قال ابن حجر: (ويجمع بين هذه الألفاظ بأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ البعض، أو أن القصص متعددة)[154].

ويستنبط من هذا أن تقديم حفّاظ القرآن في الزواج، وجعل ما يحفظونه مهراً لم يكن حالة فردية في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم- وإنما كان أمراً منتشراً رضيه النبي –صلى الله عليه وسلم- لهذه الأمة، ورضيته الأمة لرضاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لها، وما امتعضوا منه، بل على الفور تعاملوا به وطبقوه في واقعهم.. وحتى لو لم يثبت تعدد هذه الوقائع وأنها واقعة واحدة فإن فعل النبي –صلى الله عليه وسلم- للشيء ولو لمرة واحدة كاف في جعله شرعاً في حق أمته، ما لم يثبت نسخه أو اختصاصه به –صلى الله عليه وسلم-.

ومن خلال ما ثبت اخلص بهذه الدعوة التي اوجهها القيامة ويتوجون الإباء وأولياء الأمور ، فأقول : بعدما قدمت بين أيديكم من سنة من أُمرنا أن لا نقدم بين يديه شيئاً إلا كلام الله[155]: يجب أن نعيد حساباتنا من جديد فيمن تقبله زوجاً لبناتنا، وان نزوج على أساس الدين والخلق، ونقدم حافظ القرآن، ونقبله وإن يكن فقيراً يغنه الله من فضله، فحملة القرآن هم والله الأحفظ لبناتنا ، إن أحبوهن أكرموهن، وإن كرهوهن لم يظلموهن[156].

أعيدوا النظر في مشكلة العنوسة التي أصبحت ظاهرة خطيرة في العالم الإسلامي، وحلها بأيديكم أن تيسروا تكاليف الزواج، فمن بركة المرأة يسر مهرها ويسر نكاحها.

إنكم أيها الآباء إن زوجتم على أساس ميزان القرآن والدين والأخلاق لم تكونوا فقط ضمنتم لبناتكم حياة زوجية سعيدة.

وإنما عملكم أعظم من هذا بكثير، وهو أنكم قد ساعدتم في إغراء الشباب بحفظ القرآن والتمسك به، ليعود منهج حياة، ومقياس تفاضل عندما يرون أهله يُقدّرون ويُقدّمون.

أناديكم مراراً أن أعيدوا النظر كرات وكرات في الأساس الذي عليه تزوجون أبناءكم ، وانظروا في آخرتكم وآخرتهم، (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)[157].

وأختم هذا المبحث بهذه القصة لعله أن يكون فيها عبرة لأولى الألباب:

يذكر أن رجلاً تقدم لابنته خاطب، فاستشار أحد العلماء قال: لمن أزوج ابنتي؟

وكان العالم أريباً فقال له:

---

154 -ابن حجر فتح الباري: 9/208-209 بتصرف.

155 - قال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) الحجرات:1

156 - من طريف ما قرأت في مجلة روز اليوسف في صفحة عرض وطلب الأزواج والزوجات أن الشباب من الجنسين يطلب كل منهما في الآخر شرط التدين، فقلت: سبحان الله الجميع برغم فساد الحال يدرك أن التدين والالتزام هو خير سبيل لنجاح الحياة الزوجية.

157 - سورة فاطر.

إن اليهود يزوجون من أجل المال، والنصارى يزوجون من أجل الجمال، والمسلمين يزوجون من أجل الدين، فمن أي الأصناف كنت فزوج ابنتك ، ففهم الرجل.

## المبحث السابع

## اثر القرآن في الإصلاح والتزكية

أن الإسلام لايهتم بالتعليم فقط ، وإنما بالتربية أيضا ، والتربية هي تزكية النفس وتطهيرها من سيء الأخلاق وردئ الخصال ، وهي وسيلة للفلاح ، قال تعالى (قد افلح من زكاها ) [4] وخير التزكية ما كان بمنهج الله تعالى ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم – يدعو ربه قائلاً (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ) [1].

- يضرع إليه لأنه يعلم أن التزكية والإصلاح من فضله ورحمته سبحانه ، كما قال جل وعلا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم)[2] .
- وإذا كانت تزكية النفوس من فضل الله ورحمته ، فالقرآن الكريم أيضا من فضل الله ورحمته ، وله أثره الجذاب للنفوس الشاردة المتمردة على الخلق والخالق فتنجذب إليه، وتفهم معانيه فتعيد صياغة شخصياتها من جديد، وكأنما ولدت مرة أخرى عندما سمعت القرآن، والعجيب أن بعض البلاد الغير مسلمة ربما أنفقت الكثير والكثير من المال والجهد والوقت في إجراء الدراسات النفسية والتربوية ومحاولات الإصلاح للسجناء والمجرمين الذين طالما هددوا المجتمعات، وحرموها الأمان، ولكن باءت أكثر محاولاتهم الإصلاحية بالفشل وإذا بالقرآن الكريم يغزو السجون ويحقق معجزة في هداية وإصلاح تلك النفوس الشاردة بفضل الله تعالى.

كتب الأخ الفاضل الأستاذ / أبو عبد الرحمن صالح بن محمد اليافعي في كتابه القيم (الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا) عدة عناوين اقتطفها من المجلات والدوريات –جزاه الله خيراً-، وأنا أنقلها هنا كشواهد على ما قلته من أن القرآن يؤهل المجرمين للصلاح والإصلاح.

وتحت عنوان: (نور الإسلام يضيء السجون الأمريكية) قال: (حقق القرآن الكريم في القلوب ما لم تحققه المليارات والإغراءات: "إن الإسلام دين الله الحق.. وهو دين جذاب.. ويسير وليس بالعسير.. لأنه دين الفطرة" هكذا عبر أحد علماء النفس الأمريكيين وهو يرى كل مليارات وجهود الحضارة الغربية المعاصرة تفشل في إصلاح الناس خارج وداخل السجون وأصيبت كثير من الجهات الرسمية هناك بالإحباط وخيبة الأمل بينما يحاول البعض منهم التشبث بأي نوع من الأمل حتى قال قائلهم: "إذا كان الإسلام هو الحل.. تفضلوا علموهم الإسلام هنا"، وعندما أتيحت الفرصة لدعاة الإسلام لتقويم سلوك السجناء على أساس الدعوة إلى التزام الإسلام وإعادة تربية الخاطئين والمجرمين والمخالفين بما يجعلهم يعودون إلى السير في الطريق السوي داخل مجتمعاتهم حقق الإسلام ما لم تستطع أن تحققه في القلوب مليارات الدولارات التي أنفقت بدون نتيجة.

والحقيقة أن هذه التجربة نقلت من البلدان الإسلامية، حيث تتميز السجون السعودية مثلاً بكثرة مواسم العفو وتخفيف الأحكام عن السجناء، وتتكرر الفرص أمام هؤلاء لتقليل أو حتى إنهاء مدد الحجز عن طريق حفظ القرآن الكريم، الأمر الذي جعل عنابر السجون تتحول أحياناً إلى خلايا لحفظ وتلاوة القرآن الكريم خاصة في شهر رمضان الكريم، وقد أصدرت قيادة البلاد هناك قراراً يقضي بتخفيف مدة السجن عن المسجون بقدر ما

---

(4)– سورة الشمس 9

(1)هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه

(2)– سورة النور 21

يحفظ من القرآن الكريم، مما أسهم في ارتفاع معنويات السجناء، وتحسن سلوكهم وإقبالهم على حفظ القرآن الكريم، وبعض السجناء تجد أصلاً أنه ليس متجهاً نحو القرآن وبعضهم تجده متردداً، فإذا حفظ شيئاً من القرآن الكريم جاءك من بعد قائلاً: أنا لا أريد على حفظ القرآن الكريم جزاءً ولا شكوراً وبعضهم يقبل من البداية...)[158].

- وتحت عنوان: (الأثر الشامل العجيب لحفظ القرآن الكريم على السجين) قال: (ومما يثلج الصدر أن يتسابق نزلاء السجون على دراسة وحفظ كتاب الله تعالى وتفهم معانيه، وأن تمتلئ قلوبهم وتكتظ أوقاتهم بهذا الخير فتتحول السجون إلى دور تعليم وتأهيل ومدارس فلاح واستقامة لا إلى زنزانات مظلمة يملؤها الخوف واليأس.

فالمعلوم أن السجين يعاني من الإرهاصات النفسية وينتابه التوتر والقلق، فإذا خلا مع كتاب الله عز وجل وأخذ ينهل منه زالت عنه وساوسه وإرهاصاته النفسية، فضلاً عن اثر هذا على إصلاح سلوك السجناء، وحسبك القرآن مصلحاً، وبعضهم يتجه للقرآن رغبة في الخلاص من السجن فقط فيكون سبباً لهدايته.

وحدث أن دخل السجن مرة شاب طائش لم يسلم من شره أحد في منطقته فيشاء الله أن يتجه إلى حفظ القرآن الكريم كله، وحسنت أخلاقه وزان منطقه وأدبه.

فلا شك أن قراءة القرآن وتلاوته وحفظه وتدبره من أسباب الصلاح والهدى، ولا شك أن إنارة عقول السجناء وتبصيرهم بأخطائهم ثم دينهم من أسباب إقلاعهم عن الجريمة والخطأ، فالقرآن الكريم يهدي قارئه إلى كل خير، وكم يقرأ الإنسان القرآن لمقصود آخر ولكن الله يأبى إلا أن يكون له، كما قال بعض السلف: تعلمنا العلم للدنيا فأبى الله إلا أن يكون له)[159].

- وتحت عنوان: (تحول زعيم عصابة إلى رئيس جمعية خيرية إسلامية) قال: (لقد انتقلت هذه الفكرة إلى السجون الأجنبية ومنها السجون الأمريكية، وبدأت في سجن كالفورنيا، ثم انتشرت ولا زالت إلى باقي سجون عدد من الولايات المتحدة الأمريكية.. ومن داخل أحد هذه السجون وفي لحظة نورانية حاسمة (سنة 1992م) أقدم نموذجاً واحداً من عشرات النماذج وهو لرجل كان أحد أكثر الرجال خطراً في مدينة الجرائم لوس أنجلوس، حيث توصل إلى السجن أحد دعاة الإسلام لإلقاء موعظة في المساجين ووزع عليهم مجموعة من الكتب الدينية، وأعطى أحد تلك الكتب لسجين على يديه وذراعيه مجموعة من الجروح العميقة، وملامحه لا توحي أبداً أن مثل هذا الكتاب قد يؤثر فيه، حيث لا يبدو عليه أن السجن قد علمه أي درس، وأنه فقط ينتظر لحظة خروجه ليعود لجرائمه بعد أن تعلم ألا يكرر أخطاءه التي أوقعته بيد الشرطة، ولكن سبحان الله ما أن أخذ هذا السجين واسمه (اسكاو) ذلك الكتاب وقرأه فأثار إعجابه أن هذا الدين عالمي، فقرر بسرعة، وفور خروجه من السجن انطلق إلى المسجد لمقابلة الداعية الذي أعطاه الكتاب ليعلن إسلامه، وفعل ذلك فعلاً وغير اسمه إلى (ناجي علي)، وفي نفس اليوم قرر أن يدعو الناس للإسلام ويساعد ضعفاء الناس في مجتمعه الذين ذاقوا على يديه ويد عصابته الويلات من قبل، فقام بتأسيس جمعية خيرية لمساعدة المضطهدين في كل مكان، وقام يتجول في إحياء لوس أنجلوس حيث تنتشر الجرائم والمخدرات والفقر، وفي السجون في منطقة جنوب ولاية كالفورنيا، ويقوم بدور كبير في مشروع للتوعية من أخطار الإيدز بين المجتمع...)[160].

---

[158] - محمد صالح اليافعي: الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا ص 234-235 ط دار الإيمان –الإسكندرية 2004.

[159] - الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا ص 236 نقلاً عن صحيفة المسلمون (السعودية) بتاريخ: 1417/9/29هـ من مقال بعنوان (القرآن يطلق سجناء السعودية) عدد (627).

[160] -اليافعي الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا ص 237-240 بإيجاز وتصرف.

- وتحت عنوان: (إسلام أكثر من 300 ألف سجين وتحوّل الجناة إلى دعاة) قال: (ولا زالت المعجزة العظيمة تتجدد.. فإذا بالدين الذي حول رعاة الإبل إلى سادة الدنيا، وحول الجاهلين إلى أهل حضارة راقية، وحول عبدة الأصنام الذين صنعوا آلهتهم من التمر والحلوى وإذا جاعوا أكلوا ربهم، إلى أهل إيمان بالله وتقوى وعزة وسعادة في الدنيا والآخرة، وحوّل الذين كانوا يئدون الفتيات عند ولادتهن ويدفنونهن في الرمال إلى مكرمين للمرأة وحقوقها.. وإذا بهذه المعجزة تتجدد في خواتيم القرن العشرين الميلادي ومطلع القرن الحادي والعشرين فيتحول السجناء في أمريكا ليس فقط إلى مواطنين صالحين مسلمين هادئين ولكن أيضاً إلى دعاة خير وحب وتقوى وبناة مجتمع صحيح وسليم، ويحدث هذا التحول العظيم ليس لأفراد قلائل من النساء والرجال، وإنما لأفواج تلو أفواج تتدفق إلى عالم جديد أراده الله لها فارتضته، فأصبح عدد السجناء الذين اعتنقوا الإسلام أكثر من (300) ألف من بينهم (1000) داعية يحفظون القرآن الكريم ويجسدون السنة المطهرة في سلوكياتهم ما استطاعوا...)[161].

وبعد هذه النماذج التي أكدت أن القرآن صالح لتأهيل المجرمين وإصلاحهم، وإعادتهم كأعضاء نافعين في مجتمعاتهم: لا بد أن يُعلم أن القرآن لم يزحف إلى السجون بطريقة الزواحف تدخل من الثقوب أو من تحت أعقاب الأبواب، لا.. فهو أجلّ من أن يدخل ذلك المدخل، وإنما زحف في صدور رجال، ربما أخطأوا فعوقبوا بالسجن فرجعوا إلى الله داخل السجون، وربما سجنوا ظلماً بغير جريرة وما أكثر هؤلاء.

والقرآن الكريم نفسه يروي لنا قصة سجين مظلوم، برغم قيام الأدلة على براءته، ومع ذلك سجن، ولم يحمله السجن على أن ينقم على الحياة، بل راح بين جدران السجن يسعى للإصلاح ويدعو إلى الله عز وجل.

إنه يوسف الصديق الذي قال الله فيه: (ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين . ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[162].

- إنها والله معجزة تتجدد للقرآن الكريم ليظهر أثره وفعاليته في إصلاح النفوس وتهذيبها وردها إلى الجادة، وصدق الله عز وجل حيث قال: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين..)[163].

## المبحث الثامن

[161] -اليافعي الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا ص 242 بإيجاز وتصرف.

[162] - سورة يوسف 35-40.

[163] - سورة الإسراء 9.

## التأهيل للغنى والسعادة في الدارين

كثير من يحب الغنى والسعادة ، وكثير من يخطئ طريقهما فيحصل على الشقاوة بدلاً من السعادة ، ومرد ذلك القيامة ويتوجون أنه يبحث خطأً، بلا منهج يوضح إمامه معالم طريق السعادة ، وليس هذا العدم وجود المنهج ، وإنما لغفلة الكثيرين وبعدهم عنه .

- وفي هذا المبحث سأحاول بيان أن القرآن يؤهل للحصول على الغنى والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة .

### أولا : التأهيل بالقرن الكريم للحصول على الغنى والسعادة في الدنيا :

القرآن الكريم رأس مال عظيم، لا يقدر بكنوز الدنيا ذهبها وفضتها، فمن أوتي القرآن فقد أوتي الخير كله، وإن ظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد أساء الظن، وجحد نعمة الله عليه.

ففي الحديث: (من حفظ القرآن وظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد استقل نعمة الله عليه)[164].

وقد امتن الله تعالى على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم- أن آتاه القرآن، فقال تعالى: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)[165].

ونهاه أن ينظر إلى أي نعمة أخرى تكون في نظره أعظم من نعمة القرآن، فقال تعالى: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين)[166].

قال الشيخ –رحمه الله- (وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ولذلك قال بعده: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) أي: لا تعجب إعجاباً يحملك على إشغال فكرك، بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم)[167].

وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يقرب هذا المعنى لأصحابه حتى يفهموا أن القرآن رأس مال لا يُعادل، ولا يُوزن بأموال الدنيا.

فعن عقبة بن عامر –رضي الله عنه- قال: (خرج علينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم على بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل- خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)[168].

قال الإمام النووي –رحمه الله-: (والكوما من الإبل العظيمة السنام).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفات عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: (فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان)[169].

---

[164] - سبق تخريجه في المبحث الثاني.

[165] - سورة الحجر 87.

[166] - سورة الحجر 88.

[167] - السعدي تيسير الكريم الرحمن ص 410.

[168] - رواه مسلم في صحيحه برقم (803) ك صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل القراءة في الصلاة.

[169] - السابق برقم (802).

والخلفات: بكسر اللام جمع خلفة وهي: الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها ثم هي عشار[170].

هذا ما أوصى به النبي –صلى الله عليه وسلم- القرآن الكريم، فلم يوصِ بدرهم ولا دينار، فعن طلحة بن مصرّف قال: (سألت عبدا لله بن أبي أوفى –رضي الله عنهما- هل كان النبي –صلى الله عليه وسلم- أوصى؟، فقال: لا، قلت: كيف كُتب على الناس الوصية أو أُمروا بالوصية؟ فقال: أوصى بكتاب الله).[171]

فانظر بماذا أوصى النبي –صلى الله عليه وسلم-.

إن عبدا لله بن أبي أوفى –صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم- نفى أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أوصى بشيء مما يقصده السائل وهو المال، فلهذا تعجب السائل كيف أمر الناس بالوصية وهو لم يوصِ –صلى الله عليه وسلم- فقال ابن أبي أوفى: أوصى بكتاب الله.. ووصيته للمسلمين بالقرآن أن يقرؤوه ويعملوا به ويستمسكوا بحبله دليل على أنه رأس مال لا يوزن بمال الدنيا كلها.

فنعمت التجارة الرابحة تجارة القرآن يا من تريد الغنى في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)[172].

قال الشيخ / صالح الفوزان –حفظه الله-:

(إن الناس اليوم يسرعون عندما يسمعون إعلاناً عن مساهمة في أرض أو غيرها، فيقدمون أموالهم طمعاً في الربح، يخاطرون بأموالهم وهم لا يعلمون نتائج هذه المساهمة ولا يتيقنون ثقة المعلن وصدقه وأمانته، ثم هو بشر يعتريه النقص وعدم الخبرة لكن مع هذا كله يتعامى الناس عن هذه المخاطر والمحاذير، ويغلبون جانب الطمع فيقدمون أموالهم التي هي من أعز الأشياء عليهم، طلباً لربح قد يحصل، وقد لا يحصل، وإذا حصل فلا تعلم عواقبه وآثاره، لماذا كل هذا؟ إنه لحب المال والرغبة في التجارة، فلماذا يتأخر كثير من الناس عن الاستجابة لهذا الإعلان الرباني عن أعظم تجارة وأوفر ربح وأحسن عاقبة، مع أن المعلن عن هذه المساهمة هو العليم الخبير، الرحيم بعباده، الذي يزيد الحسنات ويضاعفها بعشر أمثالها على سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب.. إن سبب التأخر عن المساهمة في هذه التجارة التي أعلن عنها ربنا في كتابه الكريم هو ضعف الإيمان وقلة اليقين، وإيثار الدنيا على الدين، إن الإنسان بطبيعته يحب التجارة، وهناك تجارتان: تجارة عاجلة فانية، وتجارة آجلة باقية، ولكل تجارة زبائن، فأهل الإيمان يؤثرون التجارة الآجلة الباقية، وهم القليل، وغيرهم يؤثرون التجارة العاجلة الفانية وهم الكثير، (بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى)[173].. لكن من آثر تجارة الآخرة أعطاه الله الدنيا والآخرة، ومن أراد تجارة الدنيا فقط لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له وحرم تجارة الآخرة.. فتجارة الآخرة جمعت بين خيري الدنيا والآخرة.. وإنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمن الدنيا والآخرة، فالذي يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق ويعتبرونه ربحاً هائلاً، فكيف بمن يتجر في أيام قليلة معدودة في هذه الدنيا فيكسب خلوداً في نعيم الجنة لا ينتهي مداه،

---

[170] - شرح النووي على مسلم 74/6.

[171] - الحديث متفق عليه: البخاري برقم (2740) ومسلم برقم (1634).

[172] - سورة فاطر 29-3.

[173] - سورة الأعلى 16-17.

ولا يعلم كميته إلا الله.. إن المساهمة في هذه ا لتجارة مُيسّرة وأبوابها مفتوحة لكل راغب، والإعلان عنها مستمر كلما قرئ القرآن الكريم)[174].

ولذلك فهم الصحابة هذا الفهم فاستغنوا بالقرآن برغم ما كانوا يعانون من شظف العيش وقلة ذات اليد، حتى قال قائلهم عبدا لله بن مسعود –رضي الله عنه-: (من أُعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صَغّر القرآنُ فقد خالف القرآن، ألم تسمع قول الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم-: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)[175].

فيا حملة القرآن اعتزوا بالله، فأنتم أغنياء بما تحملون من كلام ربكم –جل وعلا- وقِّروا القرآن وأكرموه، ولا تهينوه بأن تشتروا به عرضاً من أعراض الدنيا، وسلوا الله به ولا تسألوا الناس فتهونوا عليهم، وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- كما روى عنه عمران ابن حصين: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس)[176].

كيف يا حامل القرآن تشكو الفقر والفاقة وعندك ما هو أفضل من ألوف من الإبل العظام السمان، فآيات القرآن (6236) آية قراءة كل آية منها خير لصاحبها من ناقة كوما سمينة، ففي كل ختمة كأنما تصدق بأثمان هذه النوق والله يضاعف لمن يشاء.

وفي الغالب ما من صاحب قرآن إلا وقد من الله عليه بالستر ورزقه ما يستره ويجنبه مذلة السؤال، وقد حدثني أحد الأحباب بقصة لها العجب في عصرنا وجرت أحداثها في بلدي[177]: وذلك أن رجلاً كان يعمل مع عمال البلدية ولكنه يحب القرآن ويدمنه، وذات يوم وهو يجمع القمامة مر أحد المسؤولين عنهم فوجده يقرأ القرآن، فاستدعاه وسأله أتقرأ وتكتب؟ قال: نعم، فأكرمه المسؤول من أجل القرآن وأخذه للعمل في مجال الاتصالات، (أي عامل تلفون) واستطاع هذا الأخ أن يواصل تعليمه والتحق بمعهد القراءات التابع للأزهر الشريف وحصل منه على شهادة عالية في لقراءات، وحدث أن أعلنت بعض مدارس المملكة العربية السعودية عن حاجتها إلى مدرسين لقراءات القرآن فتقدم ومنّ الله عليه بالقبول.

وصدق من قال: (إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين)[178] صلى الله عليه وسلم.

وأنا في هذا الموطن لا أنسى أن أُقر بفضل الله عليّ بسبب القرآن فلست من أسرة ثرية، وإنما أنا وكثير من زملائي –أعرفهم- درسنا في الأزهر وكنا من أسر كادحة، فمنّ الله علينا وسترنا وأغنانا فله الحمد وله الشكر.

فيا طلاب القرآن وحملته ومعلميه اعتزوا بالله، وأجلُوا القرآن، ولا تتعجلوا ولا تسألوا به أحداً غير الله، وتأكدوا أن الله لن يضيعكم، ولن يرضى لكم المذلة والصغار، ولكننا نستعجل.

## القرآن مؤهل لقيادة الحياة عموماً

---

[174] - عبد العزيز بن عبد الرحمن المقحم ، عبد العزيز احمد الدجين الجواهر في خطب المنابر: جمع وترتيب / عبدالعزيز بن عبدالرحمن المقحم، وعبدالعزيز أحمد الدجين 3/1130-1131 ط مكتبة الرشد –الرياض 1418هـ.

[175] - انظر: أحمد بن عبدالعزيز الحمدان: إتحاف الإخوان بفضائل القرآن ص 124 ط الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم –السعودية 1425هـ والاية من سورة طه 131.

[176] - رواه الترمذي في السنن: برقم (3084) ك فضائل القرآن، وقال: حديث حسن.

[177] - أسيوط من صعيد مصر.

[178] - صحيح مسلم بشرح النووي: ك صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

بعدما رأينا فيما سبق أن القرآن يؤهل أصحابه في كافة المجالات ليكونوا في الصدارة والمقدمة، نستطيع أن نقرر هنا أن القرآن مؤهل لقيادة الحياة عموماً .

ومما يؤكد هذا أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، متجدد لا يطرأ عليه البلى، فقد اشتمل على أفضل وأرقى التشريعات التي تكفل سعادة الفرد والمجتمع، بل والعالم بأكمله في جميع شؤون حياتهم، في جوانب السياسة والقضاء والحكم وإقامة العدل، وفي جوانب الاقتصاد والمال والمعاملات، وفي جوانب الاجتماع والتكافل والأخلاق والآداب والفضائل، وفي جوانب الفكر والبحث والعلم، وفي جوانب الصحة وحماية الأعراض واستتباب الأمن، وفي جوانب العقل والبدن والأسرة والمرأة والمجتمع، وفي جوانب الحرب والسلم، والعلاقات بين الإنسان، وبيان الحقوق والواجبات فلم يُبق جانباً من جوانب الحياة إلا وقد بين فيه سبيل الحق والهدى والصواب، كما قال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)[179].

وهذا يعني أن القرآن الكريم هو الوحيد الآن –ومن قبل- الذي يحوي كافة ضمانات التأهيل لمن يريد قيادة الحياة والأحياء إلى شاطئ النجاة، ولمن يريد أن يخلص البشرية من كدرها ونكدها الذي لحقها في ظل العلم المقطوع الصلة بالخالق جل وعلا.

ويعني –أيضاً- أن الأمة الإسلامية –أمة القرآن بمجموعها- مؤهلة لقيادة الحياة، ولكن أمرها عجب، فقد رضيت بالتبعية، وتخلت عن القيادة، برغم أن دور القيادة من أهم خصائصها.

قال الشيخ / عبد العظيم بن بدوي –حفظه الله: (اقرءوا القرآن فإنه عزكم وشرفكم، وبه يتم سؤددكم، لقد ساد السلف الصالح الدنيا كلها حين قبلوا كتاب ربهم، واستمسكوا به وجعلوه إمامهم فقادهم إلى الخير والبر والنجاح والفلاح، فلما نبذ الخلق كتاب ربهم رواء ظهورهم تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فاقرؤا القرآن يا أمة القرآن، فلن تزالوا على الهدى ما قرأتم القرآن وتمسكتم به، كما أخبركم بذلك نبيكم صلى الله عليه وسلم)[180].

وإنما يتحقق لها هذا الدور إذا أيقنت يقيناً تماماً أن كتابها وشريعتها صالحة لهداية الناس وتنظيم شؤونهم في الدنيا والآخرة.

ومن طريف ما قرأت من مواقف بعض أهل اليقين بهذه الصلاحية، موقف للشيخ الفاضل / عبد المجيد الزنداني –حفظه الله- في محاورة مع سفير فرنسا، جاء فيها:

"في أثناء زيارة سفير فرنسا لي، سألني قائلاً: هل اكتملت الحياة وصورها؟ فقلت: لا.

فقال: وهل اكتمل الدين؟ فقلت: نعم.

فقال: كيف يتسع الدين المحدود الذي اكتمل لحاجات الحضارة وصورها المتجددة؟.

فقلت له: هل تركيب عينيك هو نفس تركيب أعين من كانوا يعيشون في عصر محمد وفي عصر المسيح عليهما السلام؟.

فقال: التركيب واحد لم يتغير.

فقلت له: هل تركيب أعضاء جسمك هو نفس تركيب أعضاء أجسام من كانوا يعيشون في عهد النبي محمد وفي عهد المسيح عليهما السلام؟.

---

[179] - انظر: الشيخ / عبدالمجيد الزنداني: بينات الرسول ومعجزاته ص 210 مركز البحوث بجامعة الإيمان –اليمن 2004، والآية من سورة النحل 89.

[180] - عبد العظيم بن بدوي الوصايا المنبرية شرح أربعين حديثاً من الوصايا النبوية: ص 404 ط دار ابن رجب –المنصورة 1418هـ-1997م.

فقال: نعم إن تركيب أجسامنا لم يتغير ولم يتبدل.

فقلت له: هل تحب، وتكره، وتخاف، وتطمع؟ قال: نعم.

فقلت له: الذين كانوا يعيشون في عصر النبي محمد وفي عصر المسيح هل هم مثلنا يحبون ويكرهون ويخافون ويطمعون؟ قال: نعم.

فقلت له: إذن التركيب النفسي لنا ولهم لم يتغير ولم يتبدل، قال: نعم هذا صحيح.

فقلت له: التركيب النفسي والبدني لمن يعيشون اليوم هو نفس التركيب النفسي والبدني لمن كانوا يعيشون في عهد النبي محمد وفي عهد المسيح عليهما السلام، فقال: هذا صحيح.

ثم قلت له: لو أن لدينا مليون سيارة مرسيدس، بتصميم هندسي واحد (موديل واحد)، قد صنعت طبقاً لخطة هندسية واحدة ولها كتاب إرشاد (كتالوج) واحد، فهل يصلح كتاب الإرشاد (الكتالوج) الواحد لتسيير وتشغيل أي سيارة من هذه المليون سيارة؟.

فقال لك طالما الموديل واحد والصنعة واحدة، فلا بد أن يكون (الكتالوج) واحداً، و(الكتالوج) يصلح لأي سيارة من هذه السيارات.

فقلت له: ولو وزعناها على القارات في آسيا وأوربا وأمريكا؟.

فقال: ولو وضعت في أي مكان على الأرض، فإنها لا تعمل إلا بنفس (الكتالوج) الذي صنعت طبقاً له ما لم يتغير تركيبها؟.

فقلت له: ولو أننا أخرجنا من مخزن السيارات مائة سيارة بعد عشر سنوات فهل لا يزال (الكتالوج) يصلح لها؟.

فقال: لا يزال يصلح لها، لأنها لم يحدث لها أي تغيير في تركيبها.

فقلت له: ولو أخرجناها بعد مائة سنة فهل لا يزال (الكتالوج) يصلح لها؟.

فقال: يصلح ما دام تركيبها لم يتغير.

فقلت له: ولو أخرجناها بعد ألف وأربعمائة عام، فهل لا يزال (الكتالوج) نافعاً لها ويصلح لتشغيلها؟.

فقال: نعم، لا يزال يصلح لها ما لم يتغير تركيبها.

فقلت له: إذا كانت الإرشادات (الكتالوج) التي تقدمها مصانع السيارات تصلح لتشغيل تلك السيارات من نفس تلك الصنعة (الموديل) مهما اختلف الزمان والمكان، فكذلك الشريعة والدين الذي جاء من عند الله متعلقاً بفطرة الإنسان النفسية والبدنية التي لم تتبدل ولم تتغير بتغير الزمان والمكان، لا يزال صالحاً لفطرة الإنسان التي خلق الله الناس عليها وصالحاً للبشرية الموحدة في فطرتها وخلقتها كما قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم..)[181].

ثم قلت له: والدين الذي جاءنا في صورة قواعد كلية هادية تستوعب كل الصور المتجددة لتطورات الحياة، ويقوم العلماء المجتهدون بتنزيل أحكام الدين على صوره المتجددة كما يقوم الخياط الذي يفصل الملابس وفق قواعد الخياطة فيجعلها متناسبة مع أحجام الناس ونوعية القماش... وهكذا تعلقت الشريعة بالفطرة الثابتة التي لا تتغير وكانت مرنة بعمل المجتهدين الذين يستنبطون من قواعدها الأحكام المناسبة للصور المتجددة)[182].

هذا وقد شهد كثير من المنصفين من جميع أنحاء العالم بصلاحية النظام الإسلامي في كافة الجوانب لتخليص البشرية من كل مشكلاتها.

---

[181] - سورة الروم 30.

[182] - بينات الرسول ومعجزاته ص 211-213.

فعلى سبيل المثال النظام الاقتصادي في الإسلام لو طبق لكان كفيلاً أن يقضي على الفقر تماماً حتى لا يبقى جائع، وقد دعا البنك الدولي إلى تقديم أطروحات من كافة الديانات والأنظمة لوضع إستراتيجية لمكافحة الفقر في العالم وجاء التقرير أن نظام الزكاة في الإسلام لو طبق لم يبق فقير في الأرض[183].

"وفي صحيفة صنداي تلجراف" كتب القس (دافيد مكلورين) بإيجابية شديدة عن الإسلام شهد بها عنوان مقالته الذي جاء كما يلي: الإسلام يملك قوة ونقاء تفتقدهما المسيحية. وتحدث القس عن تراجع المسيحية في العالم الغربي وقال: إن الغرب لو انتصر في أفغانستان، وحقق كل ما يريد إلا أن ذلك الانتصار العسكري لا ينفي أنه خسر في عالم الحقيقة، وأصبح عاجزاً عن أن يحقق انتصاره في عالم الأفكار.

وانتقد القس التفكير السائد في الكنيسة الكاثوليكية واتهمه بالسطحية والتعقيد، وقال: (إن جاذبية الإسلام والحيوية الكامنة في تعاليمه ما زالت قادرة على جذب العديد من الناس، ودلل على ذلك بما نشرته صحيفة ربيليكا الإيطالية من أن نحو (70) ألف إيطالي تحولوا مؤخراً إلى الإسلام وهو يعتبر ذلك رقماً كبيراً ومفاجئاً في ذاته وفي كونه يقع في عاصمة الكاثوليكية ومعقلها.

ولفت الانتباه إلى أن ممن ينذرون أنفسهم لصالح دينهم وقضاياهم بصرف النظر عن كونها خيرة أم شريرة، مثل هذه النماذج أصبحت نادرة لأننا فشلنا في أن نعلم الناس كيف يضحون بأنفسهم ويقدمون أرواحهم دفاعاً عن قضاياهم وهي الميزة التي أصبح المسلمون يتميزون بها في هذا الزمان)[184].

ولعلك أخي الكريم –ويا حامل القرآن- قد أدركت من هذا المبحث مدى صلاحية القرآن والشريعة التي يحويها لقيادة الحياة في شتى مناحيها، وبقي أن نسعى في تحقيق هذا، بأن يكون الطبيب من حفظة القرآن والمهندس من حفظة القرآن والاقتصادي والمحاسب من حفظة القرآن، والأخصائيين الاجتماعيين من حفظة القرآن والقاضي والحاكم أيضاً من حفظة القرآن، يومها ستسعد البشرية بهؤلاء جميعاً أن يكونوا هم القادة، فاللهم مكّن لدينك في الأرض، وأعن حملته على نشره وتبليغه، واجعلنا ممن يعملون لنصرة دينك ورفع لوائه. آمين.

## ثانياً التأهيل بالقرآن للحصول على السعادة في الآخرة:

إذا كان ما مضى من الكلام في بيان أن القرآن مؤهل لتقدم المسلم في الحياة وهي الأولى، فإن الآخرة خير من الأولى، وإنها خير وأبقى.

ومن قدمه القرآن في الدنيا فسوف يقدمه –بإذن الله- في الآخرة.

من أول القبر الذي هو أول منازل الآخرة وحتى دخول الجنة، فقد روى أبو عبيد القاسم وغيره.. عن هشام بن عامر الأنصاري قال: (شكوا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- القرح يوم أحد، وقالوا: كيف تأمر بقتلانا؟ قال: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا في القبر الواحد: الاثنين والثلاثة، وقدِّموا أكثرهم قرآناً)، قال: فقدِّم أبي بين يدي اثنين)[185].

- فإذا كان يوم القيامة: فإن القرآن في استقبال صاحبه ليكون مؤهله لنيل الجوائز، وارتقاء الدرجات.

ففي الحديث: (يأتي القرآن أهله كالرجل الشاحب يوم القيامة، أحوج ما كانوا إليه، فيقول للمسلم: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحب، وتكره أن يفارقك.. أنا الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك،

---

183 - انظر: الإسلام : صالح بن محمد بن حليس اليافعي الاسلام المعجزة المتجددة ص 496-499 .

184 - الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا ص 328.

185 - أبو عبيد القاسم: فضائل القرآن ص 271، ورواه البخاري بما يؤكد معناه في كتاب الجنائز، باب دفن الرجلين والثلاثة في قبر برقم (1345).

وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيقول: لعلك القرآن؟ فيقدم به إلى ربه عز وجل، فيقول: يا رب حلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، وينشر على أبويه حلتان.. فيقولان: لأي شيء كسينا هذا، فيقال: هذا بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ..)[186].

وعن أبي أمامة الباهلي –رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول: (اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)[187].

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما- قال: (يجيء القرآن يشفع لصاحبه، يقول: يارب لكل عامل عمالة من عمله، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم، فأكرم.. فيقال: ابسط يمينك، فيملأ من رضوان الله، ثم يقال: ابسط شمالك، فيملأ من رضوان الله، ويكسى كسوة الكرامة، ويحلى حلة الكرامة، ويلبس تاج الكرامة)[188].

- هنيئاً يا صاحب القرآن، هنيئاً حسن استقبال القرآن لك، هنيئاً لك شفاعة القرآن لك عند الله، هنيئاً لك حلل الكرامة، هنيئاً لك الملك والخلد، هنيئاً لك إكرام والديك من أجلك، هنيئاً لك ما تمتلئ به يداك من رضوان الله.

- والآن: قل لي بالله عليك يا من تشغلك الدنيا عن الآخرة: ما الذي أهَل هذا الفائز لكل هذا الرضى؟ أليس القرآن؟.

- أيا من غرته الدنيا وكل همه أن يكون فيها مقدماً، كفاك من الغفلة فهناك التقدم والتأخر على الحقيقة، هناك في الآخرة.

- تعال نتلوا معاً هذه الآيات من سورة المدثر، والتي تبين حقيقة التقدم والتأخر على خلاف ما يرى المخدوعون، والله إنه لمشهد رهيب:

(بسم الله الرحمن الرحيم: كلا والقمر . والليل إذ أدبر . والصبح إذا أسفر . إنها لإحدى الكبر . نذيراً للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر . كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين . فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة . بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة . كلا بل لا يخافون الآخرة . كلا إنه تذكرة . فمن شاء ذكره . وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة)[189].

## الخاتمة

## نسأل الله حسنها في الأمر كله

---

[186] - رواه الإمام أحمد في المسند 348/5، وابن ماجة في المند :برقم (3781) ك الأدب، باب ثواب القرآن، وقال البوصيري: في مصباح الزجاجة 126/4 هذا إسناد رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك 556/1 وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه الطبراني في الأوسط 51/6 برقم (5764).

[187] - مسلم في صحيحه برقم (804) ك صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة سورة البقرة.

[188] - الدارمي السنن: برقم (3355) ك فضائل القرآن، وقال المحقق: (إسناده حسن).

[189] - سورة المدثر 32-56.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تجولنا بسرعة في كافة مجالات الحياة لنرى المؤهلات المطلوبة فلم نر مؤهلاً أثبت من القرآن، فهو مؤهل لا تثبت أمامه مؤهلات، وهذا بالطبع تأهيل للمسلم في الحياة الآخرة بإذن الله تعالى.

وفي خاتمة هذه الدراسة يجدر بنا أن نسجل بعض النتائج والتوصيات .

أولا : النتائج التي تم التوصل اليها في هذه الدراسة :-

1- عظمة القرآن الكريم وفضله على سائر الكتب .

2- علو منزلة حملة القرآن ومعلميه .

3- للقرآن واجب على من يحملونه ، وعليهم القيام به وإلا أثموا .

4- لحملة القرآن على الأرض حق التقدير والإجلال والتقديم.

صلاحية القرآن للقيادة في كافة المجالات .

**ثانيا التوصيات:-**

والتوصيات هنا خمس ، أسوقها من باب قوله تعالى(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

**أولها: إلى حكوماتنا العربية والإسلامية:**

فلا شك أن في كل من العاملين في هذه الحكومات خير ينبغي أن يحسن تفعيله وإخراجه، خصوصاً وإذا كان الأمر يتعلق بالقرآن الكريم، أقول لهم: قدّموا أهل القرآن، وأجلّوهم، واجعلوهم خاصتكم وجلساءكم، اطلبوا منهم النصيحة، تواضعوا لهم، ارفعوا شأنهم، لا تخافوا منهم على سلطانكم، فهم أعرف الناس بحق الحاكم وولي الأمر، فهم الذين يحفظون قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[190].

ادعموهم دعماً حقيقياً، ليس في الاحتفالات وتحت أضواء كاميرات الدعاية، ولكن دعماً حقيقياً نابعاً من قلب مؤمن، استمعوا أحبتي الحكام وولاة الأمور، يا من أوجب الله علينا طاعتكم إلى هذه القصة، وتأملوا فيها كيف يحصل الخير للجميع عندما يصطلح العلماء والأمراء.

كان هارون الرشيد –أمير المؤمنين- يأتي بأحد العلماء ليقرئ أولاده القرآن ويعلمهم العلم، فكان إ ذا فرغ المعلم من درسه تنازع أولاد الرشيد على حذائه أيهم يقدمه له، وذات يوم قال هارون الرشيد للمعلم: من أفضل الناس؟ فقال المعلم: أمير المؤمنين، فقال له هارون الرشيد: لا، بل أفضل منه من يتنازع أولاد أمير المؤمنين على حذائه كلهم يريد حمله وتقديمه له. (يعني المعلم).

تأملوا: كيف كان حامل القرآن عارفاً لحق ولي الأمر، وكيف كان ولي الأمر عارفاً لحق حملة كتاب الله عز وجل.

أسأل الله أن يوفق ولاة أمورنا إلى ما يحبه ويرضاه، اللهم اجعل من وليتهم علينا خيراً منا، وارزقهم بطانة صالحة تدلهم على الخير وتحثهم عليه.آمين.

**ثانيها: إلى الآباء والأمهات:**

أقول لهم لقد رأيتم من خلال الأحاديث التي أوردناها في البحث أن التكريم لحامل القرآن ليس له وحده وإنما يكرم آباؤه الذين دفعوه إلى القرآن وأعانوه عليه، فادفعوا أولادكم إلى حفظ القرآن بمراكز ومدارس

[190] - سورة النساء 59.

وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتابعوا سيرهم، وكافؤهم على الحفظ، والتزموا القرآن أمامهم في أخلاقكم ليجدوا فيكم القدوة الصالحة، وما فاتكم في أنفسكم من الالتزام وحفظ القرآن عوّضوه في أولادكم، أمّنوا مستقبل أولادكم بالقرآن، ادفعوهم إلى طريقه، فطريقه طريق النجاة، والسير فيها إلى دار السلام بإذن الله.

**ثالثهاً: إلى رجال المال والأعمال:**

أقول لهم: أسأل الله لكم أن يسلطكم على هلكة[191] أموالكم في الحق، وأن يجعلها في ميزان حسناتكم، وخير ما تنفق فيه الأموال كفالة طلبة العلم، وإعانتهم على التفرغ له، وإذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم- قال في من جهز غازياً في سبيل الله: (فقد غزا)[192]. فإن من جهز وأعان طالب علم وخصوصاً على حفظ القرآن كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيئاً.

تخيل أخي الحبيب –الذي حباك الله بنعمة المال- أنك جهزت مبنى ووقفته ليكون مدرسة للتحفيظ أو مباني لتكون مدارس، ويقرأ ويحفظ ويرتل فيها عشرات ومئات، لك مثل ثواب هؤلاء جميعاً كلما قرأوا ورتلوا، وأحسبك عاقلاً لست بحاجة إلى إغراء، فالمفترض أن التجارة وتجاربها قد أعطتك خبرة كافية بطرق تحقيق الكسب والربح، والخوف من الخسارة، أسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياك من الفائزين الرابحين، وأن يعيذنا من الخسارة والبوار، وأن يعيذنا من الشح والبخل.

استمع يا رجل المال والأعمال إلى هذه القصة لترى كيف ينافسك فقير لا يجد، ليس على صفقة تجارية أو ..... وإنما في العمل للآخرة، يدخر من قوت بطنه ليترك شيئاً يُجرى ثوابه عليه بعد موته.

قال الأستاذ / أورخان محمد علي : (أغرب اسم لمسجد في التاريخ: (كأنني أكلت). هذا اسم مسجد في العاصمة التركية (استانبول)، وقصته: أن رجلاً فقيراً كان يحب أن يفعل الخير، وكانت نفسه تتوق لأن يبني مسجداً، ولكن إمكانيته المادية لا تعينه، وعنّت له فكرة، فاتخذ (حصّالة) يدخر فيها النقود وكان كلما اشتهت نفسه شيئاً يضع ثمن هذا الشيء الذي اشتهاه في (الحصالة) ويقول لنفسه: كأنني أكلت، حتى تجمّع لديه ذات يوم مبلغ معقول، استطاع أن يبني به مسجداً، وأطلق عليه مسجد (كأنني أكلت)[193].

فانظروا يا رجال المال والأعمال، هناك من الفقراء من ينافسكم في الإنفاق ، فلا تبخلوا فإنه كما قال ربنا عز وجل: (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)[194]. وتذكروا دائماً قوله تعالى في الحديث القدسي: (.. عبدي أنفق أُنفق عليك، يد الله ملأى لا تغيضها نفقة..)[195] واحرص على أن تحظى بدعاء الملك الموكل بالدعاء للمنفقين، فإن الله يوكل كل يوم ملكان يقول أحدهما: (اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: وأعط ممسكاً تلفاً)[196].

رابعتها: إلى القائمين على المؤسسات التعليمية:

---

[191] - وفي الحديث عند البخاري في صحيحه: (لاحسد إلا في اثنتين .. رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق..) برقم (5026) ك فضائل القرآن.

[192] - انظره عند البخاري في صحيحه برقم (2843) ك الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير.

[193] - اورخان محمد عليمن روائع التاريخ العثماني ص 30.

[194] - سورة محمد –صلى الله عليه وسلم- 38 .

[195] - البخاري برقم (4684) ك تفسير القرآن، باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء).

[196] - البخاري برقم (1442) ك الزكاة، باب قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى..).

أقول لهم: لقد شرفكم الله –تعالى- حين كلفكم بأمانة إعداد الأجيال، وتربية وتعليم النشء، فكونوا أهلاً لهذا التشريف والتكليف من الله –عز وجل- واعملوا على رفع مستوى المؤسسات التعليمية، وأجلُوا القرآن واجعلوه مقياس التفاضل، وعمقوا صلة الطلاب به، لا تهمشوا تلك الصلة في قشور نسميها (النصوص المختارة)، ولست أعني أن تكون جميع المؤسسات التعليمية مدارس لتحفيظ القرآن الكريم مع إهمال بقية التخصصات، لا، وإنما أعني أن يكون القرآن بجانب هذه التخصصات بأقساط تتناسب مع قدرات الطلاب، ويزداد التركيز على المدارس والكليات المتخصصة في الدراسات القرآنية والشرعية، إنها أمانة نعوذ بالله من تضييعها، فإن تضييعها خزي وندامة.

**خامستها: إلى شباب الأمة:**

أقول لهم: يا أحبابي، ، لا يغرنكم حداثة أسنانكم، فتحدثكم بأنكم صغار، وأن العمر طويل، والفرصة لا تزال سانحة، وغداً نحفظ وغداً نصلي... إن هذا كله سراب، فالموت يقطع كل هذه الأماني وربما قبل تحقيق المراد، وخذوا بوصية حفصة بنت سيرين –رحمها الله- كانت تقول لتلاميذ ها: (اعملوا معاشر الشباب فإني رأيت أكثر العمل في الشباب).

وذكر صاحب كتاب (علو الهمة) قصة فيها: أن أحد أهل العلم خرج حاجاً من بلاد العراق، وفي الطريق رأى صبياً في نحو العاشرة من عمره، فقال له: أين تريد يا بني؟ فقال: أريد حج بيت الله الحرام، فقال له: يا بني إنك صغير لم تناهز الأحلام، ولم تجر عليك الأقلام!!.

فقال الصبي: يا عم لقد نظرت فوجدت أصغر مني قد ماتوا..[197].

وروى ابن الجوزي في صفة الصفوة: أن فتاة صغيرة كانت كثيرة العبادة والطاعة، وكان الحسن البصري يُعجب بتعبدها، وذات يوم جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد إن الفتاة تحتضر، فأتاها الحسن، فلما رأته بكت، ثم قالت: والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولكن أبكي لأني أموت ولم أشبع من طاعة ربي.. ثم فاضت روحها الطاهرة إلى ربها –جل وعلا-.

فيا معاشر الشباب: لا تضيعوا أعماركم، لا تسوفوا ولا تؤجلوا، بل بادروا والتحقوا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وابذلوا جهدكم في حفظ القرآن الكريم، ولا يغرنكم ما قد ترونه من ادعاء المنحرفين أنهم سعداء بالمعصية، فهم والله أشقى وأنكد الناس، نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم، وأن يهدينا وإياهم سبيل الرشاد.

فالبدار البدار، (من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب..)[198].

بسم الله الرحمن الرحيم: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

## المراجع والمصادر


1. القرآن الكريم – صدق وجل من أنزله.
2. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين – للمرتضى الزبيدي – ط دار الفكر – بيروت.
3. إتحاف الإخوان بفضائل القرآن – أحمد بن عبدالعزيز الحمدان - ط الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم –السعودية.
4. الأحكام السلطانية والولايات الدينية – للماوردي - ط المكتبة التوفيقية –القاهرة.
5. الأدب المفرد – محمد بن إسماعيل البخاري – ط دار السلام – القاهرة 2005 تحقيق أحمد عبدالرزاق البكري: (حسن الإسناد).


[197] - علو الهمة: د/ أحمد إسماعيل المقدم ص376 ط دار العقيدة –الإسكندرية- الطبعة الرابعة.

[198] - سورة المنافقون 10.

6. الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا - صالح بن محمد بن حليس اليافعي- ط دار الإيمان –الإسكندرية 2004.
7. أطفال المسلمين وكيف رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم – جمال عبد الرحمن - ط دار طيبة الخضراء –مكة المكرمة- الطبعة السادسة 1424هـ/2003م.
8. الانتصار للقرآن – للقاضي الباقلاني- ط دار الفتح – الأردن - دار ابن حزم – بيروت.
9. بصائر الجنان في علوم القرآن - د/ محمد إبراهيم الشافعي - ط وهبة حسان-القاهرة.
10. بينات الرسول ومعجزاته - الشيخ / عبدالمجيد الزنداني (وآخرين)- مركز البحوث بجامعة الإيمان – صنعاء.
11. تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي – للمباركفوري – ط دار الكتب العلمية – بيروت.
12. تذهيب تهذيب الكمال - للإمام الذهبي - ط مكتبة الفاروق الحديثة-القاهرة 1425هـ.
13. تربية الأولاد في الإسلام - د / عبدا لله ناصح علوان - ط دار السلام – القاهرة.
14. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ط مكتبة أولاد الشيخ للتراث –القاهرة 1421هـ بتحقيق مصطفى السيد محمد (وآخرين).
15. تفسير الخازن - ط دار الفكر – بيروت 1979.
16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – للشيخ / السعدي - ط دار صادر –بيروت.
17. جامع بيان العلم وفضله - لابن عبدالبر الأندلسي – ط دار نور المكتبات – جدة 1418هـ.
18. الجامع لأحكام القرآن - للإمام القرطبي - ط دار الكتب المصرية –القاهرة 1954.
19. الجامع الصحيح – محمد بن إسماعيل البخاري – ط دار ابن حزم – بيروت 2003.
20. الجامع الصحيح – لمسلم بن الحجاج – ط دار ابن حزم – بيروت 2002.
21. الجواهر في خطب المنابر- جمع وترتيب / عبدالعزيز بن عبد الرحمن المقحم، وعبدالعزيز أحمد الدجين - ط مكتبة الرشد - الرياض 1418هـ.
22. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – السيوطي - ط دار الفكر- بيروت.
23. الزهد – عبدا لله بن المبارك – ط دار الكتب العلمية – بيروت – 1998.
24. سنن الترمذي – لأبي عيسى محمد بن عيسى - ط دار ابن حزم – بيروت 2002.
25. سنن الدارمي – للحافظ عبدا لله بن بهرام الدارمي – ط دار المغني – الرياض 2000 بتحقيق: حسين سليم أسد الداراني.
26. سنن ابن ماجة – لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني - ط دار ابن حزم – بيروت 2001.
27. سنن النسائي – للحافظ أحمد بن علي بن شعيب النسائي - ط دار ابن حزم – بيروت1999.
28. شرح صحيح مسلم - للإمام النووي – ط دار الفكر – بيروت 2000.
29. صحيح سنن الترمذي – للألباني – ط دار المعارف – الرياض 1422هـ.
30. صحيح سنن ابن ماجة – للألباني – ط دار المعارف – الرياض 1417هـ.
31. علو الهمة - أحمد إسماعيل المقدم - ط دار العقيدة–الإسكندرية.
32. فتح الباري شرح صحيح البخاري – للحافظ ابن حجر – ط دار الفكر – بيروت.
33. فردوس الأخبار - للحافظ الديلمي - ط دار الفكر –بيروت 1997.
34. فضائل القرآن - لأبي عبيد القاسم بن سلام – ط وزارة الأوقاف المغربية 1994.
35. في رحاب التفسير- للشيخ / عبدالحميد كشك - ط المكتب المصري الحديث - القاهرة.
36. في ظلال القرآن – سيد قطب – ط دار الشروق – القاهرة.
37. فقه العبادات - د/ علي أحمد القليصي - ط مكتبة الإرشاد – صنعاء.
38. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل –لابن جزي - ط دار الفكر – بيروت.
39. الكشاف عن حقائق التأويل – للزمخشري - ط دار الفكر – بيروت.
40. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - للمتقي بن حسام الدين الهندي -ط مؤسسة الرسالة –بيروت 1989.
41. لباب التأويل في معاني التنزيل – لعلي بن محمد الخازن - ط دار الفكر – بيروت.
42. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – لمحمد فؤاد عبدالباقي – ط دار الحديث – القاهرة 2003.
43. مسند الإمام أحمد – للإمام أحمد بن حنبل الشيباني – ط المكتب الإسلامي – بيروت.
44. مشكل الآثار – لأبي جعفر الطحاوي - ط دار صادر – بيروت.
45. معارج التفكر ودقائق التدبر – للشيخ / عبد الرحمن حبنكة الميداني - ط دار القلم – الدار الشامية 2002م.

46. المقدمة - لعبدالرحمن بن خلدون - ط دار الفجر –القاهرة 1425هـ.
47. مناقب الإمام الشافعي - لابن الأثير الجزري - ط دار القبلة – جدة 1410هـ الطبعة الأولى.
48. مناهل العرفان في علوم القرآن - للشيخ/ عبدالعظيم الزرقاني - ط دار الفكر –بيروت.
49. من روائع التاريخ العثماني - أورخان محمد علي - .
50. مهارات التربية الإسلامية - الدكتور/عبد الرحمن بن عبدالله المالكي - سلسة كتاب الأمة العدد 106 ربيع الأول 1426هـ.
51. الوصايا المنبرية شرح أربعين حديثاً من الوصايا النبوية - للشيخ / عبدالعظيم بن بدوي - ط دار ابن رجب – المنصورة 1418هـ-1997م.